القذافي وأنا وابن علي



السـفير
محمد سعيد القشاط

مكتبة جزيرة الورد

د. محمد سعيد القشاط

القذافى.. وأنا.. وابن علي

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: القذافى.. وأنا.. وابن علي

تأليف: د. محمد سعيد القشاط

رقم الإيداع: 2016/3657

الترقيم الدولى: 978-977-82258-6-0

الطبعة الأولى ٢٠١٦



القاهرة: ٤ ميدان حليم - خلف بنك فيصل

شارع ٢٦ يوليو - من ميدان الأوبرا

٠١٠٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

الآهـــداء

إلى أسرتى الصغيرة . . أولادى . . وبناتى وأمهم

أهدى هذا الجهد . .

والذكريات التى ساهموا فيها . .

واكتووا بنارها وأتعابها .

د. محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــــة

لهذا الكتاب قصة أرى أن يعرفها القراء.. فلقد انتهيت من تأليفه عام ٢٠١٣ وأرسلته لصديق لى فى تونس سبق وأن قام بالإشراف على طباعة عدة كتب لى تم نشرها فى تونس.

إلا أن هذا الكتاب تأخرت طباعته ونشر صحفى تونسى بعض أحداثه الأمر الذى جعل الرئيس ابن على يتصل بى عن طريق صحفية تونسية بالإمارات يطلب منى الإطلاع عما كتبت بخصوصه وهو يخشى أن يتم إحراجه مع مستضيفيه السعوديين ووعدته بذلك.

واتصلت بصديقى التونسى ألح عليه فى طباعة الكتاب وأبلغنى أن المطبعة لازالت تحتاج مبلغاً مالياً آخر.

وجاءنى إلى الجزائر وسلمته المبلغ الذى ذكره كما سلمت له عدة مخطوطات أخرى منها:

١-فرسان الغروب.. وهو كتاب يتحدث عن علاقة ليبيا بالتوارق وعرب صحراء مالى والنيجر.

٢-ثلاثة دواوين شعر شعبى وطنية تم تأليفها فى المهجر.

٣-قصة تاريخية مهمة عنوانها (يا فاطمة الجبل).

٤-كتاب مجموعة مقالات نشرت بالفيس تحت عنوان (قول.. يقال).

وانتظرت الفروغ من الكتب واتصلت بالصديق الذى لم يعد يرد على اتصالاتى.

وكلفت بعض الأصدقاء الذين يعرفونه ولهم به علاقة فكان يتهرب منهم ولا

يرد على هواتفهم ويتهرب من اللقاء بهم.

واتصلت به عن طريق صفحته فى الفيس.

وطلبت منه المخطوطات وأنا متنازل عن المبلغ الذى منحته له.

ولم يرد الصديق (قاتل الله الغدر) فتوكلت على الله لأعيد صياغة الكتاب من جديد من الذاكرة لأننى لم احتفظ بنسخة منه لثقتى فى الصديق.

وأعدت كتابة مشاهداتى والأحداث التى عشتها باستثناء لقاءات ابن على فلقد كانت مكتوبة فى مذكرة عندى.

كان إصرارى على إعادة الكتاب لأنه جزء من تاريخ ليبيا الحديث أسجلها للأجيال القادمة علها تتعظ مما حدث وتأخذ منه عبرة.

ولم أتدخل بآرائى وتحليلاتى الشخصية وإنما رويت الأحداث كما عايشتها وأن الأشخاص الذين تم ذكرهم فى هذا الكتاب سلباً أو إيجاباً لا أنوى من ذلك تشويه أحد أو تبيض صفحة أحد وإنما ذكرت لكل من عمل عملاً عمله خيراً كان أو شرا. وأقدم ذلك للتاريخ الذى لا يرحم ولا يغفل شاردة ولا واردة.

ولم أشأ أيضاً أن أغوص فى التفاصيل وأذكر أدوار الأفراد أو القبائل. إلا ما علمت ولأن الكثير من التفاصيل تحتاج إلى وثائق وروايات وأنا بعيد عن الوطن.

وأخيراً أتمنى أن يجد القارئ فى هذا السفر ما يفيده..

د. محمد سعيد القشاط

القاهرة ـ الخميس ١٥ رمضان

الموافق ٢٠١٥/٧/٢

الفصل الأول

كنت فى العشرين سنة الأخيرة من القرن الماضى والعشر سنوات الأولى من هذا القرن أخلق لنفسى إجازة فى فصل الربيع وأذهب لقضائها فى الحمادة الحمراء أو فى منطقة الهروج أى منهما غاثها المطر وازدهر فيها الربيع.

وكنت أهئ مجموعة من السيارات الصحراوية وخيمة كبيرة وزادا يكفينا لمدة أسبوع واختار مجموعة من الأصدقاء منهم الشعراء والرواة للتاريخ ونقضى أسبوعاً أو أكثر فى الصيد.

وفى سنة ٢٠١٠ رجعت إلى طرابلس من الرياض أجهز نفسى لهذا المشروع وكان رجوعى فى شهر ديسمبر فى أواخره.

وكان إلى جانب إجازتى هذه هناك موضوع آخر تاريخى حاولت إنجازه.

إذ فى الرياض كتبت إحدى الصحف السعودية مقالا عن اللواء طارق الإفريقى أول رئيس أركان للجيش السعودى وهو الذى له الفضل لتأسيسه كجيش حديث.

وقالت الصحيفة إن هذا الرجل من نيجيريا.

وكتبت أنا مقالا أن الرجل ليبى ومن طرابلس الغرب وكتب مجموعة من الكتاب بعضهم يجعله سودانى وبعضهم يجعله من نيجيريا واتهمونى بأننى أحاول أن أستغل شهرة الرجل لأجعله ليبى.

وفى زحمة هذه المقالات جاءت للجريدة سيدة من الرياض قالت للجريدة إنها ابنة طارق الإفريقى وأن والدها ليبى وجدها ليبى وهى تزوجت فى السعودية.

بحثت عن السيدة التى كانت متقدمة فى السن واحضرتها للسفارة وحدثتنى عن حديث والدها وسلمت لى بعض الأوراق والوثائق التى تخصه كما أرشدتنى إلى ابنة له فى طرابلس سبق وأن تزوجت رجل ليبى ومن الصدف أن الرجل كان زميلى فى التدريس فى عام ١٩٦٩ بمدرسة سيدى المصرى بطرابلس.

رأيت أن أجهز كتاب عن طارق بما توفر لدى من معلومات ووثائق وتمكنت من

ذلك وخصصت راتبا لابنته شهرياً بإتفاق مع العقيد القذافى الذى ابلغته بالموضوع أوقفه المتمردون أخيراً وكانت السيدة ترى أن يتم احضار رفاة والدها من سوريا إلى طرابلس.

ووضعت طلبها ضمن مشروع تاريخى تكريمى لكبار المجاهدين الذين قضوا نحبهم فى المهجر.

وأن نوارى جثامينهم فى حديقة تخصص لهم نسميها حديقة الخالدين نضع على قبر كل منهم لوحة رخامية تروى تاريخ جهاده ليستفيد منها الأجيال.

رجعت إلى طرابلس وعرضت المشروع على الأخ العقيد الذى وافق عليه بل وتحمس لانجازه وطلب منى أن اتصل بأسر المجاهدين واستأذنهم فى ذلك.

وتم توجيه رسالة إلى سفارتنا بسوريا لتطلب من الخارجية السورية نقل جثمان طارق الإفريقى إلى ليبيا.

وأعددت قائمة باسماء قيادات الجهاد الذين توفوا خارج الوطن وبعض الإعلام من الليبيين وأذكر اننى أحصيت مجموعة منهم.

الشيخ سوف المحمودى وأحمد المريض والمبروك المنتصر الترهونى وعبدالجليل سيف النصر وعبدالسلام الكزه.

وعمر عثمان أبو دبوس والطاهر المريض وجميعهم توفوا بمصر وطارق الإفريقى والشيخ الباجقنى وسعد حلبوده وابنه الصغير حلبوده الذين توفوا بسوريا.

ومختار كعبار وعثمان القيزانى والصادق بن الحاج بتركيا ومحمد فكينى وحمد عباس المصراتى الذين توفوا بتونس والشيخ البرانى الساعدى وعبد الله الطوير وأبو عقيله الزوى وعبد الرحمن قريميش والشيخ الثنى الغدامسي وجميعهم استشهدوا فى معارك ضد الفرنسيين فى تشاد وعبدالنبى بالخير الذى توفى بالجزائر.

هذا إلى جانب آخرين استشهدوا أو توفاهم الله فى ليبيا وهم من قادة الجهاد أمثال.

محمد بن حسن المشاى وسالم بن عبدالنبى الزنتاتى وخليفة بن عسكر والهادى كعبار وراسم كعبار والشويشين القديرى وعلى بوجناح والصادق لكبير وعبيدة المحجوبى والمبروك الغدى الصويعى وعلى كله الصويعى وعمرو بوبرنوصه وعمرو غنغانه وغيث بوقنديل الزوى وصالح بوكريم وأحمد سيف النصر وعمر سيف النصر وغيث بن عمار البلعزى والشيخ الصويعى الخيتونى وفرحات الزاوى وصالح الأطيوش والشيخ النعاس الفقهى وعبدالله الزوام الزليطنى ومحمد الفقيه حسن والصغير المريض وبوبكر بوسنوقه الزوارى وعلى بن ضياف الناتلى ومبروكه العلاقية ومبروكة المقسية وسليمة مقوز وحليمة الشيخة وعبدالحميد العبار وعلى الشامى.

كما رأيت الاستعانة بمركز جهاد الليبين لإثراء العدد وشرعت فى الاتصال بالعائلات بعضها وافق مثل عائلة سوف المحمودى وبعضها اعتذر كعائلة المبروك المنتصر الترهونى.

وقضيت نهاية شهر ديسمبر وشهر يناير فى الاتصالات والاستعداد لهذا المشروع.

أحداث تونس

ومع بداية عام ٢٠١١ بدأت الأحداث تتلاحق فى تونس ومصر.

وأصبحنا نرى على قول المثل الشعبى (إذا حلق أخوك رأسه بل رأسك).

وخرج الرئيس التونسى إلى السعودية وتم القبض على الرئيس المصرى وأودع بالسجن وسيطر الإخوان على مصر وكذلك على تونس.

وفى أحد الأيام من أواخر شهر يناير اتصلت بى القيادة تطلبنى لمقابلة الأخ العقيد.

وفى الطريق اتصل بى موظف السفارة بالرياض يخبرنى أن الرئيس ابن على يطلب هاتفى وقلت له أعطه الهاتف.

وقبل أن أصل إلى مقابلة العقيد رن الهاتف برقم من السعودية ومن جدة بالذات ولما أننى لا أعرف الرقم توقعت أنه ابن على.

فلم أرد عليه لاننى لا أعرف ماذا أقول له وما هو موقفنا منه وقلت فى نفسى سأبلغ الأخ العقيدة واستشيره.

وصلت إلى الأخ العقيد وجلست معه وصار يحدثنى عن أحداث تونس والمؤامرة الكبيرة التى فجروها فى تونس وفى مصر.

فقلت له إن ابن على يطلب مقابلتى كما أخبرنى موظف السفارة واتصل بى وأنا فى طريقى إليك ولم أرد عليه.

قال الأخ العقيد لا.. لا.. كلمه وقل له إنك قادم إليه وأذهب إليه فى جدة وشجعه بأننا لن نتخلى عنه.

وأوصانى العقيد بالنقاط التالية التى سأبلغها لابن على:

١ - نحن سنناقش تونس فى المؤتمر الإفريقى وسنجمد عضويتها.

٢ - نود منك الخروج من السعودية إلى بلد تستطيع فيه الحديث ومخاطبة الشعب التونسى.. ويستحسن أن تكون فى أوروبا قريبا منا حتى يسهل الاتصال بكم.

٣ - يجب الاتصال بالجيش التونسى ليعمل انقلاب ويرجعكم للحكم.

٤ - نحن سنتصل.

وقد علمت فيما بعد أن الأخ العقيد حرك القوى الثورية التونسية للعمل على إرجاع بن على وهى على اتصال باللجان الثورية الليبية.

ووجه خطابا للشعب التونسى يقول لهم فيه إن كنتم تصنعون ثورة لتسليم الشعب الحكم والسلطة فنحن نؤيدكم وإن كنتم تستبدلون رئيس برئيس فليبق ابن على يكمل مدته.

ودعت العقيد وأنا أقول: (ردوا بالكم إن الأنور ستتجه نحونا خذوا حذركم) لم يعلق القذافى على تحذيرى.

خرجت من عنده واتصلت بابن على هاتفياً أبلغه باننى قادم إليه وهى المرة الأولى التى اتصل فيها بابن على إذ أننى لم أزر تونس منذ عام ١٩٧٢ بسبب زج اسمى فى قضية قفصه التى لم يكن لى فيها أى دور باستثناء معرفة أغلب الذين قاموا بها وقدمت تسهيلات للإقامة فى ليبيا لبعضهم.

استقليت الطائرة فى الصباح إلى الأردن ومنها إلى جدة.

وصلت مساء يوم ٢٦ يناير إلى جدة حيث وجدت فى استقبالى موظف السفارة الليبية.

والذى حجز لى فى فندق الشرتون جدة.

عند الصباح اتصلت بابن على وابلغته باننى قادم إليه.

كان يقيم بقصر الحمراء ويشرف على حراسته اللواء سعود الداوود وهو رجل دمث الأخلاق طيب عرفته فى وزارة الداخلية عندما كنت أزور سمو الأمير نايف بن عبدالعزيز وزيرها.

ونشأت بيننا معرفة لم ترق إلى منزلة الصداقة.

استقبلنى اللواء سعود بالترحاب وساقنى إلى صالون جانبى بعد مدخل القصر وتركنى بعد أن أرسل لى نادل القهوة والتمر وهى عادة سعودية بقى الموظف الذى جاء معى بالخارج فى صالون آخر.

وبعد قليل دخل على ابن على كان لا يزال فى لياقته التى كنا نشاهدها فى التليفزيون عندما يظهر وبشعره المنسق الأسود الفاحم نتيجة للأصباغ وهو حليق الذقن ينتقل بجسمه بين رجليه عندما يمشى وفى رجليه (فرك) فهما مبتعدتين عن بعضهما فى الوسط من جهة الركبتين فيكون بينهما فراغ عندما يقف.

عانقنى الرجل وجلس بجانبى يسألنى عن الأحوال وعن أحوال الأخ العقيد وهو يقول إنه الصديق الوحيد الذى أثق فيه واعرف أنه الوفى.

أبلغته تحيات الأخ العقيد وأوضحت له النقاط التى حملنى إياها الأخ العقيد وتركت له المجال للحديث.

قال لى بلغ الأخ القائد اننى لم أهرب ولكن عندما تطورت الأحداث رأت زوجتى أن تذهب للعمرة وأصرت أن أذهب معها فهى لا تستطيع أن تذهب وحدها.

أخذت الطائرة للعمرة كان يقودها الطيار محمود شيخ روحه (وذكر اسم المضيفة التى نسيت اسمها).

تركت الطائرة فى مطار جدة وذهبت لأداء العمرة ولما رجعت إلى جدة وجدت الطائرة قد غادرت المطار ورجعت إلى تونس.

لأنهم اتصلوا بها من تونس (لم يقل لى اسم المتصل) وأخبروا الطيار أنهم على

اتفاق مع الرئيس بان يرجع ويتركه وأنا لم أتفق مع أحد.

ولهذا بقيت فى جدة واستضافنى الإخوة السعوديون بارك الله فيهم.

وبدأ ابن على يشرح لى الوضع فى تونس ودوره فى المدة التى قضاها رئيساً قال:

-الوضع السياسى يريد تكوين حكومة مؤقتة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.

-اليوم استقال وزير الخارجية كان يشتغل مع رئيس الأمم المتحدة.

-الاتحاد العام للشغل فيه البعثيين والشيوعيين والقوميين حتى اليوم لم يفهم أحد.

-الوضع الاقتصادى سيتأثر.

-بعض الرجال عدلوا عن الاستثمار فى تونس.

-الموسم الفلاحى صعب زيادة فى صندوق الدعم.

-فى الإذاعة جميع الناس يرغبون فى زيادة الدعم.

-العمال.

قبل خروجى قررت منحة البطالة وآليات أخرى بأن تخدم معى.

الوضع الأمنى الجيش فيه ٢/ ٣ معى.

الأمن فيه أكثر من النصف معى.

النقطة صعيبة والحيرة كبيرة.

أى مغامرة تكون نتائجها كارثية ووضيعة.

-نسبة النجاح الله أعلم ٧٠ أو ٨٠ فى المائة الله أعلم ماذا يكون موقف أمريكا والاتحاد الأوروبى جاءوا وفود من أوروبا يسألوا عن الوضع هم غير فاهمين.

مترددين من ناحية الضحايا.

وماذا يكون أمريكا تحبذ أولاً والاتحاد الأوروبى من الناحية القانونية عندما تصير حرب أهلية عندما نراها حرب أهلية وعندها الجيش يتدخل وأنا لا أظهر كثيراً.

من الناحية القانونية الدستور لا يزال سارى المفعول أى تغيير أو تعديل فى الدستور يحتاج إلى زمن وبأمر الرئيس اعتبر نفسى أنا الرئيس الشرعى وأنا كلفت الوزير الأول نيابة ولا يحق له أن يحل مجلس النواب ومجلس الوزراء.

ومادمت أنا لم أقدم استقالتى ومن حقى أن أتغيب دون تحديد الزمن فهو لا يحل مجلس المستشارين ومجلس البرلمان.

أهم حاجة فى الدستور الفصل ٤١ فقرة ٢ يعطينى الحصانة مدة قيادة البلد.

ولا يستطيعوا محاكمتى أو أن يعمل لى أى شيء.

كما يقول له الحصانة وكل الامتيازات طيلة بقائه فى الحكم.

الدعايات والأكاذيب.

طمن الأخ القائد أنه ليس لى أى حساب جارى فى الخارج لا فى سويسرا ولا فى فرنسا.

الحساب الوحيد الذى أملكه هو فى البنك التجارى (بنك الجنوب).

بقى حسابى فى البنك التجارى فيه مرتبى وباستثناء هذا الحساب ليس لى أى حساب لا فى الداخل ولا فى الخارج.

عندى ٢ ديار لى ٥٤ سنة موظف والمنزل دار (عين دراهم) هى للدولة حسبوه على وأنا لا أملكه.

وزير العدل رجل كبير ولا يفهم القانون وعمل مؤتمر صحفى وبجانبه شخص شاب يمليه ما يقول.

ولقد رن هاتفه الجوال فى المؤتمر الصحفى ماذا فيه؟.. جورج واصوف يغنى وهو لا يعرف القانون.

سأله صحفى قال له عبدالله الذى يحبه القائد وضعوه فى الإقامة الجبرية ولم

يذكروا أى سبب وله أكثر من أسبوعين فى الإقامة الجبرية.

الصحفى قال له: ما هو السبب لإيقاف رئيس مجلس المستشارين؟

أجاب وزير العدل.

قال الإقامة الجبرية لاتهم القضاء هذا الموضوع لا يهم القضاء.

بدأ الصحفيون يضحكون.

المشكل امتاعى انكلمك كأخ.

اليوم أخ المدام عادل الطرابلسى وهو الذي رباهم وهو الكبير لقد توفى اليوم فى المستشفى.

وزوجتى الآن تبكى ولا تأكل شيء والأسرة أصبحت مشردة بعد خمسين سنة خدمة البلاد الواحد يقعد يلوج وين يمشى ووين ما يمشيش.

وأنا انجزت الكثير بشهادة المؤسسات العالمية البنك الدولى باليابان.

اشكون احدث صندوق التضامن.

ذهبت إلى مناطق الفقر.. ودعمتهم وجعلت مدارس وحمامات.

انقذتهم ببنك التضامن وصندوق التضامن بنك التضامن يحق للمواطن أن يأخذ قرض بدون ضمان باش يعمل مشروع ٣٠,٠٠٠ ثلاثين ألف و١٠٠٠٠٠ مائة ألف أنا الذى أحدثته.

صندوق التشغيل هذا يعنى ٢١ ٢١ كل عام نضع فيه نقود من أصحاب الأعمال باش يشغلوا الناس العاطلين عن العمل.

الإنجازات الكبيرة طرق سريعة سدود فى مدن فى باجة وغيرها كليات وغيرها عملت انجازات فى كل القطاعات بشهادة الناس كل هذا جزاء الإنسان بعد خمسين سنة من العمل يبقى مشرد الله أعلم أش يكون مصيرو.

أنا فى حيرة ابنى له ست سنوات وبنتى أول سنة فى الكلية معى.

إذا خرجت سأبقى مشرد.

وضع لى بعض الأعضاء فى أذنى قال لو تتدخل بعض الدول الصديقة مع الحكومة الحالية بأن نستقبل ونبقى فى داخل تونس تحت الإقامة الجبرية وأولادى يقرأون نوضح هذا الخبر بالاتفاق مع السعودية وإيطاليا وفرنسا وليبيا.

لو تم ذلك فإننى أستطيع أن أحرك الدنيا كلها أعطونى فى أيدى ثلاثة أشهر استطيع أن أعمل كل شيء.

برلسكونى تاعب وساركوزى تاعب

الفرنسيون باعوا لنا كمية قليلة من الأسلحة واليوم هناك تساؤلات.

نحن نحتاج لعينة الأخ القائد وخادم الحرمين وملك المغرب.

القائد يهنينى على برلسكونى والاتحاد الإفريقى غدا سألتقى مع الأمير أحمد بن عبدالعزيز مساعد وزير الداخلية.

لا ثمة لا مبادئ ولا قيم هناك مصالح ولا شريعة دولية الأخ القائد له كلمة مسموعة ويستطيع أن يخدمنى ونحن فى تونس أن نخدم عليه.

وقالوا لى ننتظر منك الضوء الأخضر.

■■■

انتهى حديث ابن على.. وهو كما يرى ينتقل من موضوع إلى موضوع وكان حريصاً على عودته إلى تونس وهو على اتصال بمجموعات فى الداخل.

خرجت من عنده وودعته.

ومررت على مكتبى بالرياض ثم واصلت السفر إلى ليبيا عبر الأردن.

التقيت بالأخ العقيد وقرأت له حديث ابن على.

وطلب منى الرجوع إليه وطمأنته وأننا نعمل من أجله لرجوعه إلى وطنه وعليه تكثيف اتصالاته بالداخل بأعوانه فى الجيش والأمن.

انتقلت إلى جدة عن طريق الأردن ووصلتها ليلا وعند الصباح التقيت بابن على وطمأنته على أن الأخ العقيد سيبذل جهده معه.

■■■

جلسنا فى الصالون كالعادة وبدأ يحدثنى: «بالنسبة لنا. لازالت دار لقمان على حالها.

والإدعاءات عندى حساب فى سويسرا ونزل فى باريس أنا عندى حساب فى البنك التجارى اشتراه المغاربة كان اسمه (بنك الجنوب) وليس لى أى حساب فى أى مصرف آخر.

من حيث الإنجازات لم يجدوا ما يقولوا لأننى انجزت الكثير وانقذت الكثير من جيوب الفقر.

إنهم يريدون توسيخى وأنا لا أريد أن أرد. ماذا يستطيع الأخ القائد مساعدتى.

الموضوع الذى تكلمنا فيه صعيب جداً وأمريكا لا تقبل برلسكونى ضعيف وهو صديق الأخ القائد ساركوزى ضعيف.

مساعدة الأخ القائد وضع محامين أو غيرهم جميع أقربائى أو أسرة الطرابلسى أوقفوهم أنا بورقيبه عاش معزز مكرم.

أقرب الناس يدافع عنى هو الأخ القائد بكل صراحة الحمد لله أنا نظيف ومرتاح وخدمت تونس ٥٠ سنة.

جاءت مجموعة متطرفة من اليمين واليسار داخلة بعضها.

هناك مناطق تقوم بمظاهرات تطالب برجوع ابن على فى سبيطله وغيرها المناطق المنسية.

أنا لم أر أحد حتى الآن لأنهم لهم مشاكل كبيرة فى جدة لا بحث معهم ما العمل؟

لو تدخل الجيش ويعلن حالة الطوارئ يمكننا التدخل يجب يزيد التعفن حتى يخرج الجيش لحماية أملاك الدولة يعلنوا حالة الطوارئ وبعد ذلك يسهل التدخل.

وفى ختام الحديث قال لى ابن على.. أنا خرجت من تونس فى ملابسى لا أملك شيئا.

وأمسك بطرفى جاكيتته دلالة على أنه لم يحمل أى شىء معه كما يقولون.

■■■

ودعت ابن على وخاطبنى اللواء الداوود قائلاً إن هذه المقابلات ليست للنشر.

ووعدته بذلك إلا أن الأيام تجاوزتها وأصدرت ليلى الطرابلسى مذكراتها كما علمت إذن لم يعد لهذا الحديث سرية.

■■■

مررت على السفارة بالرياض واستمعت لتصريح لمندوبنا فى هيئة الأمم شلقم كان سيئا كان ضد دولته فكلمت أحمد رمضان قلم العقيد بالهاتف قائلاً له.

انتبهوا لتصريح شلقم أنه سيء أجابنى أحمد أنه (مطنطنها) أى أنه سكران ولهذا هو يقول أى شىء فلا تهتم لما يقول.

واتصلت بسفيرنا فى سوريا وهو صديق لشلقم استفسر منه فاجابنى بأن شلقم كلمنى نهار الأمس وقال لى: لو أن رجلا واحداً بقى مع القذافى لكنت أنا.

وطمأننى السفير إلا أننى لازلت غير مطمئن لهذا الرجل.

رجعت عن طريق الأردن وفى الطائرة الأردنية وجدت فى الصحيفة مقالا لإبراهيم الكونى ينتقد فيه العقيد القذافى وسياسته. إبراهيم هذا هو صنيعة القذافى شجعه ودفع له الأموال ونشر له كتبه وفرغه للكتابة ومنحه الأوسمة الثقافية.

وجعل كتاباته عالمية إنه عدم الوفاء المخجل.

ولما وصلت إلى طرابلس وجدت أخوه موسى الكونى الذى تم تعيينه قنصلاً فى دولة مالى لمساعدة التوارق فى حديث طويل كتبته فى كتاب (فرسان الغروب) وكان من المفروض أن تعطى المساعدات لشمال مالى عن طريقه.

وعندما طلبت مشائخ مالى وسلاطينها ومشائخ النيجر وسلاطينها ووصلوا إلى طرابلس انتهز موسى الفرصة وجمعهم وهم فى زيارة لاوبارى حيث تقيم عائلاتهم ووقعهم على وثيقة بيعه للعقيد القذافى واعترافهم بانه (امغار) وتعنى شيخ للتوارق ولم يكتب أنه (امنوكال) وتعنى سلطان.

وجاء موسى ومعه وفد منهم وقرأ الوثيقة أمام العقيد الذى طلب منى أن أتحدث فيهم باسمه وفعلت.

ولما عدت إلى طرابلس وجدت موسى يطلب ١٦ مليون دولار لاتمام مهامه التى حددها منها تجنيد ألف من التوارق للقتال مع ليبيا وهو تحايل لإرسال المبلغ له.

فأبلغت القيادة بمقالات إبراهيم الكونى وطلبت منهم إيقاف ارسال المبلغ لأن موسى يريد الهروب والانشقاق.

تم إيقاف المبلغ وهرب موسى إلى فرنسا على أنه معارض وهو الذى لا يحمل الشهادة الإعدادية.

وكان قبله قد هرب مديرا لمراسم نورى المسمارى الذى كان يرافق العقيد كظله فى تنقلاته واستغل زيارة العقيد إلى مالى وهرب من هناك وهذا الرجل له امتيازات لم يحصل عليها أحد غيره ووجد بحوزته ١٦ ستة عشر جواز سفر دبلوماسى واختلاس ملايين الدولارات.

وأخبر الفرنسيين عن كل ما يعمله القذافى وما لا يعمله فى جلساته وكل المواقع التى يتواجد بها ليلاً أو نهاراً الأمر الذى استفادت منه مخابرات فرنسا فى مهاجمة القذافى.

وقد اتصل بالمسمارى أكثر من شخص يطلب منه الرجوع وهو آمن واشترط سداد ديونه التى قال أنها ٥ خمسة ملايين ولم يرجع المسمارى لأن الفرنسيين لا يريدون له الرجوع.

أثناء لقائى بالعقيد القذافى ابلغته ما أوصانى به ابن على كما أبلغته ان ابن على يشكو من ضيق ذات اليد.

كان العقيد القذافى حريصا على آن لا يترك المعارضين العرب تحت جناح الفاقه حتى لا تستغلهم المخابرات الغربية فكان يرسل لهم المنح والرواتب وهم فى الخارج.

قال لى العقيد أحمل له مبلغا يساعده على نفقاته وطلب منى العقيد تشجيعه وأننا معه وسنبذل كل جهدنا لارجاعه إلى السلطة.

مررت على القسم المالى بالقيادة واستلمت ٢٥٠,٠٠٠ مائتين وخمسين ألف دولار لاسلمها لابن على.

وخرجت وأنا بدأت أشعر أن الأمور بدأت تدهور فى ليبيا وأن برنامج ما يسمى بالربيع العربى يشمل كل الشمال الإفريقى.

أثناء إقامتى القصيرة بطرابلس أخبرنى ابنى محمد بأنه حلم فى الليل بأن شيخا يلبس عباءة ضربه بطرفه وهو يقول له.

(قل لأبيك جاياتك أيام حرفاء).

وزاره هذا الشيخ ليلتين متتاليتين.

ومن الغريب أن الكلاب فى المزرعة عند الفجر تعوى عواء حزينا كان عندنا فى البدو، أن الكلب الذى يعوى بهذه الطريقة يدل على وفاة أو خلاء الموقع.

وقد طلبت من الأولاد أن يطردوا هذه الكلاب من المزرعة أو يقتلوها ولكنهم لم يفعلوا.

وقد كتبت كاتبه من أسرة الشريف فى العراق أن أسرتها ملك العراق زارته ليلة النكبة فسمعت الكلاب تعوى عواء حزينا وفى الصباح وقع الانقلاب وقامت

مذبحة قصر الرحاب.

وكما هى العادة سافرت إلى الأردن ومنها إلى جدة ليلاً.

عند الصباح اتصلت بابن على هاتفيا وقدمت إلى مقر سكناه الذى صرت أعرفه (قصر الحمراء) واستقبلنى كالعادة اللواء الداوود.

حيث ادخلنى إلى الصالون المعتاد وبقى الموظف المرافق لى خارجا.

دخل على ابن على وعانقنى بحرارة لقد أصبحنا أصدقاء.

سألنى عن الأخ العقيد وهو يقول القائد وشرع يحدثنى عن وضعه وحالته وكانت نفسيته مضطربة ومستاء من عدم التصريح له بمقابلة الصحافة ودحض الأكاذيب التى يروجها التونسيون الجدد ويتمنى أن يجد أحد الصحفيين يتبنى موقفه.

وهو مستاء من شعبه الذى قابله بالجحود واستمر يتحدث عن إنجازاته وعن مواقفه مع التونسيين والالحاد الذى قابلوه به والجحود.

وقال لقد اتصل بى الأمير نايف وكذلك الأمير سلطان وابلغونى اننى فى بلدى ورحبوا بى وقال اتصلت بى محطة (N.B.C)ولكن الأمير سعود الفيصل نبهنى بأنه لا يمكن لى الاتصال بالإعلام.

وقال ابن على بلغ الأخ القائد أن رشيد بن عمار قائد الجيش لا تواخذوه على تصريحاته فهو مضطر على ذلك ولكنه معى وموقفه جيد وقال لى أن أخ زوجته موجود فى كندا.

ومن المستحسن أن يأتى إلى ليبيا وبلغ الأخ القائد أن يستقبله حتى يكون قريبا من تونس.

والواقع أن رشيد بن عمار لم يكن حسن الطويه مع ليبيا فلقد وظفته قطر لأن يحرك الجيش التونسى لحماية شحنات الأسلحة التى يزودون بها المتمردين وتنزل من بواخر فى الموانئ التونسية أو بالطائرات فى مطار الرماده فى جنوب تونس.

إلا أننى لم أذكر ذلك لابن على فهو فى منقاه يكفيه ما يلاقى.

عندما انهى حديثه.

قدمت له مبلغ المال وقلت له إنه مرسل لك من الأخ القائد لتصرفه على مصاريفك الخاصة.

شكرنى ابن على وطلب منى ابلاغ القائد بسلامه وشكره وقمت وودعته وقد تأبط الظرف الذى يحتوى على المبلغ وافترقنا وكان آخر لقاء لى معه إذ أن الأحداث فى ليبيا تتابعت وانشغلنا فى أنفسنا.

مررت على الرياض لأتفقد أحوال السفارة وحال الموظفين.

وقمت بالاتصالات بمجموعة من السفراء الذين بدأوا ينهاروا بعد انهيار شلقم.

اتصلت بسفيرنا بالأردن الدكتور البرغوثى الذى نشأت بينى وبينه صداقة إذ أنه من ضمن السفارات التى تشرف عليها القيادة وتتبع العقيد القذافى.

وكنت ضمن هذه السفارات الأمر الذى جعل من الخارجية تنا صبنا العداء وتعرقل أعمالنا وتتصيد لنا الأخطاء فكنت اتصل بالدكتور البرغثى ونتبادل المعلومات والنقد للخارجية.

الدكتور البرغثى تظاهر المرضى فى الأردن أمام سفارته كما أنه ألقى بتصريح انشق فيه عن النظام.

اتصلت به استفسر عن المظاهرة وأتمنى أن لا تكون قد سببت له مشاكل وتجاهلت تصريحه.

فقال لى ألم تقرأ تصريحى..؟ أجبته نعم. لقد قرأته. وكم أتمنى أن لا تفعل ذلك.. وحاولت إقناعه بأن الذى تصرف به خطأ وأنه محل تقدير وعناية من الأخ العقيد.

أجابنى بأنه مع شعبه وأن الناس يقتلونها فى بنغازى.. حاولت أن أوضح له بأن ما يسمعه هو دعاية إعلامية مخطط لها ولكنه أصر على موقفه.

كما اتصلت بسفارتنا بفرنسا لأتحدث مع السفير صلاح زارم الذى تربطنى بوالده صداقة واحترام وقد علمت أن صلاح بدأ موقفه يهتز ولكننى لم أجده فقيل لى أنه لا يرد على الهواتف.

وكلمت المهندسى عبدالنبى الموظف بالسفارة وهو مهندس أشرف على بناء السفارة فى الرياض. أخبرنى عبدالنبى أن السفير انشق وأن عبدالنبى لا يزال على العهد إلا أننى علمت فيما بعد أنه تبع سفيره وانشق.

وفى سفارتنا فى إيران أخبرنى الموظف إدريس الذى كان يشتغل معى فى الرياض أن سعد مجبر السفير الليبى بإيران قد أنشق.

سعد مجبر زميلى فى الحركة الكشفية منذ أوائل الخمسينيات من القرن الماضى بل ويعتبر من أوائل الكشافين المؤسسين للحركة الكشفية فى ليبيا.

كلمت سعد فوجدته مصمم على الإنشقاق وصار يعدد لى أخطاء النظام وأنه مع شعبه الذى قتل فى بنغازى.

قلت له يا سعد نحن قضينا أربعين سنة مع هذا النظام ولن أبرئه من الأخطاء ولا يصح طعنه من الخلف وبعد انتهاء الأزمة نقدم استقالاتنا وعلينا الآن مساعدته على تجاوز الأزمة.

أصر سعد على موقفه وختم حديثه معى بقوله نحن كنا أصدقاء وفرقتنا السياسة.

وكان سعد عندما كان مسئؤلا فى وكالة الأنباء يجمع الموظفين ويشير بأصبعه إلى صورة العقيد القذافى المعلقة على الجدار وهو يقسم.

(والله العظيم لولى هذا الرجل ما بقيت فى العمل يوماً واحداً).

كان يظن سعد أن القذافى سيسقط سريعا غير أنه بعد أن ثبت فى موقعه أرسل سعد رسالة للعقيد القذافى يوضح فيها موقفه فى أنه لم ينشق وإنما الأعداء هم الذين اتهموه بذلك وهو لا يزال على المبدأ وختمها بقوله ابنكم وعبدكم سعد مجبر.

كما اتصلت بالهند التى أنشق سفيرنا بها ووجدت الدكتور البحباح أحد موظفى السفارة وطلبت منه أن يستلم إدارة السفارة ويشتغل.

واتصلت بسفارتنا فى بنغلاديش ووجدت سفيرها قد أنشق وكلمت الشاب عبدالكريم الأحيمر أن يستلم السفارة ويديرها وهو شاب شجاع عرفته فى أحداث الغارة الأمريكية ووجدته ليلة الغارة ضمن ١١ شخصاً صامداً فى مثابة حى الأندلس حتى الصباح.

وسيقول البعض كيف لى أن أكلف الأشخاص بتولى السفارات وأنا لست وزيراً للخارجية إلاأننى أقول لهم أن الجميع منشغل وعلى الذين يستطيعون فعل شيء من أجل الوطن أن يعملوا فى الاتجاه المتفق عليه الجميع.

كما اتصلت بسفيرنا فى قطر وهو حسونة الشاوش والذى كان وكيل الخارجية للإعلام وطلبت منه إرسال برقية تحدد موقفه وتوضح أن السفراء ليسوا جميعهم منهارين.

رد حسونة على رداً مبهماً وتبين أنه منشق هو الآخر الأمر الذى جعل ليبيا تقفل السفارة فى الدوحة وتحول سياراتها إلى الرياض.

أما السفير فى البحرين فلقد أنشق وجعل من المسئول المالى فى السفارة يقيم فى تونس ويصرف الأموال التى دعمتها قطر للمنشقين وهو الذى عينه كوسه ملحقاً مالياً بسفارة الرياض. ولنا معه مشاكل.

واتصلت بسفيرنا فى مصر الأستاذ على ماريا كان زميلى فى الصحافة وكان موقفه صامداً.

سلمته حكومة الإخوان المسلمين فى مصر بعد سقوط النظام للتكفيريين فى ليبيا ولا يزال فى سجونهم حتى كتابة هذه السطور.

وهو رجل نظيف اليد.. وطنى.. يحاكمونه على وطنيته.

الفصل الثانى

كانت الأحداث قد تتالت فى ليبيا.

وصلت إلى العقيد وجدته يجلس أمام الخيمة على مقعد من البلاستيك والنار تستعر بجانبه وقد لبس قلنسوة يلبسها سكان الجليد ظهر بها فى أعلى السرايا الحمراء عندما خطب فى المسيرة المليونية فيما بعد.

هناك قطيع من الإبل يسوقه أحد الملكفين برعايته ليس بالبعيد عن الخيمة فى الساحة الكبيرة التى تقع شرقى باب العزيزية وهى جزء منه يحيطها السور كما أن قطيعا من الماغز يرتع فى عشب الحديقة.: قبل أن أصل للعقيد شرع يحدثنى متأثرا عن تساقط السفراء.

أعرفت عبدالله الزبيدى سفيرنا بجنوب إفريقيا؟ أنشق هو الآخر لقد وقفت معه.. عشرين سنة لم يحول من موقعه. وكلما أرادت الخارجية تحويله اعترض عليها واثبته.. صلاح زارم احترمناه من أجل والده المجاهد أنشق هو الآخر فى فرنسا؟

وصلت إليه وعانقته وجلست قبالته وهو يقول سعد مجبر فى إيران أنشق هو الآخر.. قلت له إننى كلمت سعد وذكرت له الحوار بيننا ولم يعلق.

كان مندوبنا فى هيئة الأمم يحرض السفراء على الإنشقاق وكان يخفى موقفه النهائى كما ذكر فى مذكراته إلى حين يتمكن من إقناع مجلس الأمن لإصدار قرار ١٩٧٠ وقرار ١٩٧٣.

هذه القرارات التى وضعت ليبيا بموجبها تحت البند السابع وكلفت الناتو بالسيطرة على ليبيا وحظر تحليق الطيران الليبى وتدخل الناتو لضرب ليبيا. كان مندوبنا أحد أكبر مآسى ليبيا.

قامت مظاهرة معادية مسلحة تحركت من تاجوراء وسوق الجمعة ووصلت إلى الساحة الخضراء ليلة ٢٠/ ٢/ ٢٠١١ وقامت بحرق وزارة الداخلية ومقر مؤتمر الشعب العام وبعض مراكز الشرطة وصرح وزير خارجية بريطانيا أن العقيد القذافى

هرب إلى فنزويلا (إنهم لا يخجلون من الكذب).

وقيل إن مجموعة من الجنود بضباطهم تمردوا وهاجموا القيادة وتبادلوا مع حراساتها إطلاق النار لأكثر من ساعتين حيث تمت السيطرة على الوضع.

وفى هذه الأثناء قتل المهندس سعيد راشد الذى ذهب إلى مخزن السلاح بحديقة النصر ليلاً واستلم مجموعة من البنادق له ولمن معه وخرجوا باتجاه القيادة كما تقضى الطريق وعند اقترابه منها يتبعه رتل من السيارات تم إطلاق النار عليه وقتل هو وابنه عليهما رحمة الله.

تقول رواية أخرى أن المجموعة التى مع سعيد أطلق أحدهم النار فى الهواء فأطلق عليه حراس القيادة النار.

فى هذه الظروف أرسل العقيد ابنه الساعدى إلى بنغازى لتهدئة الأمور وكان وزير العدل مصطفى عبدالجليل قد أنشق هو الآخر وبدلا من أن يهدئ الأمور زاد فى ضرامها.

قيل إنه منحوه ٦ ملايين ليدفعها لأسر شهداء القنصلية الإيطالية ولكنه أنشق واحتفظ بالمبلغ.

الساعدى لم تكن سمعته فى بنغازى جيدة ولا هو مقبول إذ سبق له وأن اختلف مع شباب النادى الأهلى وهدم ناديهم فتظاهروا ضده بل واطلقوا حمارا فى بنغازى كتب على جنبه الساعدى وأجريت للمرتكبين محكمة وسجن بعضهم عدة سنوات وقام الساعدى بتصريح لوسائل الإعلام قال فيه إن والده منحه بنغازى يتصرف فيها.

وهنا احتج أهالى المنطقة بقولهم نحن لسنا مزرعة يعطينا القذافى لأبنه.

ولم يستطع الساعدى تهدئة الموقف بل زاد تأججاً وحاول ولكنه لم يفلح إذ طلب من الأمن الداخلى واللجان الثورية أن تخرج من بنغازى وكذلك الشرطة كما طلب من قطاعات الجيش الخروج من معسكراتها الأمر الذى جعل المتمردين يسيطرون

عليها ويستولون على السلاح.

وخرج الساعدى من بنغازى بصعوبة بعد أن قتل من حراسه ٩٣ جندياً كما خرج عبدالله السنوسى من بنغازى بصعوبة وأخبرنى سائق سيارته الذى انطلق من بنغازى باتجاه الصحراء ووصل إلى الهروج ومنها إلى الجفرة واستلم الناس السلاح من مراكز الشرطة التى جاءها الأمر بالانسحاب وعدم إطلاق النار على المتظاهرين وتدخل داخل المظاهرات مسلحين غير معروفين يطلقون النار على الناس لزيادة تأجيج الموقف حتى أن بعض الشباب تم قتلهم خارج المظاهرة تبين فيما بعد أنهم مجموعة أنصار الشريعة والتكفيريين والإخوان المسلمين حتى أنهم قتلوا مواطنين يسيرون فى جنازة القتلى.

وظهر العقيد ليلاً أمام منزله المتهدم من قبل غارة أمريكا عام ١٩٨٦ ليطمئن الناس بأنه لازال موجوداً.

وفى الليلة الأخرى ألقى خطبة كان فيها منفعلاً نافياً أن يكون قد هرب أو أنه يهرب وقال مخاطبا المجموعات التى دخلت البلاد خلسة لتؤجج الموقف من التكفيريين وغيرهم من أنتم؟ وعاتب القطريين والإماراتيين على مواقفهم.

واستغل الإعلام المعادى هذه العبارة تاهمة القذافى بأنه يتنكر لشعبه.

وتكلم ابنه سيف الإسلام فى خطاب طويل أوضح فيه مغبة ما يقوم به الغوغاء ونتائجه المستقبلية على الشعب وعلى الوطن.

واستطاعت المسيرات أن تسيطر على بنغازى.

وانضم للمتظاهرين مجموعات من الجيش الذين ينتسبون إلى قبائل الشرق وكان من بينهم اللواء عبدالفتاح يونس قائد فرقة الصاعقة الذى قيل إنه اتصل بالعقيد يبلغه بأنه محاصر ويرغمونه على الانضمام لهم أو الفتك بأسرته.

وقال له القائد تصرف بما يحفظ حياتك.

ولكونه وزيرا للداخلية سبق له وأن أمر الشرطة بالخروج من مراكزها وهكذا عندما جئت إلى زيارة القائد كانت بنغازى شبه منعزلة عن السلطة وقد سيطر عليها الإسلاميون وكان العقيد فى جلسته تلك أمام الخيمة مهموما فقد بشاشته وهو يعدد على السفراء الذين تساقطوا وانشقوا وأغلبهم من الذين كان يثق فيهم.

وعملت على أن أرفع من معنوياته وقلت له إننا نملك الصحراء الكبرى من الجبل الغربى إلى الكونغو.

وإذا سقطت بنغازى أو طرابلس لا يعنى سقوط ليبيا فسنواصل الجهاد من الجنوب.

وقلت له عليك أن تكلف من تثق فيه وترصد عنده مبالغ مالية وكميات من الأسلحة والوقود والتموين ونحن نواصل الجهاد.

لم يعلق على قولى وظننته يفعل ذلك وقلت له عليك بتغيير اللجنة الشعبية العامة وتشكيل وزارة أزمة. فقال لى إن البغدادى المحمودى (أحوير) أى ناشط ووجدته وقد عين مسعود عبدالحفيظ للداخلية فقلت له إن مسعود لا يصلح لهذا العمل قد يكون قريبك وقد يكون يحبك ولكنه غير مؤهل لهذا العمل وأثبتت الأيام أن مسعود غير مخلص ولا يحب العقيد فلقد صرح بكلام فى الجزائر فيما بعد يدل على حقده على الرجل.

كما قلت له إن السعودية عندما اضطرب وضعهم دفعوا رواتب شهرين لكل جندى فى الجيش، ولكل شرطى فى الأمن والمال لا قيمة له إذا لم يكن حماية للسلطة.

خرجت من عنده والأحداث تتلاحق.

أقصى مسعود عبدالحفيظ من أمانة العدل (الداخلية) وعين بدله (الوزرى) وأمر بدفع مبلغ ٥٠٠ خمسمائة دينار لكل عائلة وقام بترقية كل أعضاء الجيش والضباط إلى الرتب االتى تلى رتبهم.

قد يكون ذلك نتيجة لنصيحتى وقد يكون ذلك مقررا فى برنامجه قبل أن التقى به.

وانعقد مجلس التعاون الخليجى وطالب بتدخل مجلس الأمن لحماية المواطنين فى ليبيا.

واجتمعت الجامعة العربية ومنعت المندوب الليبى من الحضور وقررت أن يتدخل مجلس الأمن وجمدت عضوية ليبيا ومنعت الفضائيات الليبية من البث عن طريق عربسات والأقمار الصناعية الأخرى والتى ساهم الليبيون فى أنشائها وأصبح العرب مطية للتدخل الأجنبى يمهدون له الطريق.

واستقال مندوب ليبيا بالجامعة العربية وأعلن انضمامه للمتمردين.

عبدالمنعم الهونى وهذا اسمه كان عضوا فى مجلس الثورة واتهم بالتآمر على القذافى وفر خارج الوطن فى أواخر السبعينيات من القرن الماضى.

وتم الاتصال به.. وطمأنته وصرفت له رواتبه واشترى له بيت بالقاهرة وعينوه مندوب ليبيا فى الجامعة العربية.. ولما قاطعت ليبيا الجامعة العربية أوقفت دعمها لها حتى بلغ الدعم الموقوف ١٧ مليون دولار تردد عمرو موسى على القذافى كثيرا للإفراج عن المبلغ وتم الإفراج عن المبلغ وحول إلى مندوب ليبيا الذى احتفظ بالمبلغ ووضعه فى حسابه الخاص وذهب إلى أوروبا.

ولما تفجر الوضع وجدها فرصة ليبيض وجهه ويبيض المبلغ وأعلن انضمامه للمتمردين.

وأصبح ما يحدث فى برقة يتجاوز الوصف فلقد علقوا جندى من العجيلات فى الجسر وصاروا يمزقونه ويصيحون إنه مرتزق وأمه تحمل كتيب عائلتها وتصيح إنه ابنى ولا من يسمع لها.

وقبضوا على اثنى عشر جنديا وذبحوهم بالسكين ونشروا صورتهم فى المرئية وفيديو مصور لعملية الذبح وكانت أم أحد هؤلاء الجنود من قرية المحروقة قالت دون أن تبكى.

لى سبعة أولاد آخرين جميعهم فدى لمعمر القذافى: لقد تم تجنيد الإعلام لإقناع الناس أن القذافى يقصف المواطنين بالطائرات وهذا لم يحدث أبداً.

وصارت الفضائيات الغربية تحرض المواطنين على الثورة وتزودهم بمعلومات كاذبة.

وتصدرت فضائية الجزيرة والعربية المشهد وصارتا يختلقان الأحداث ويزوران الصور كقصف ميناء مزدة التى تبعد عن البحر ٢٠٠ مائتى كيلو متر.

وقد اتضح أن قطر التى كانت تريد شراء حصة شركة توتال الفرنسية من الغاز الليبى ولم يوافق الليبيون على ذلك.

وفرنسا التى تريد السيطرة على النفط الليبى.

تم الاتفاق بينهما على إسقاط النظام الليبى فى سنة ٢٠١٠ وأرسلت قطر وفرنسا مجموعة من ضباط المخابرات إلى بنغازى لتؤجج الصراع وتحرك الشباب الليبى ضد نظامه ليعطى المبرر لفرنسا بالتدخل.

وقد أورد الفرنسيون ندوة فى قناة (قنال بليس) الفرنسية يوم ١٩ نوفمبر ٢٠١٢ تحدث فيها الكثير من المسئولين الفرنسيين عن دورهم لإسقاط النظام الليبى ومخططهم لذلك بالاتفاق مع قطر وانجلترا.

وقد استفادوا من وصول نورى المسمارى الذى هرب إلى فرنسا فى ٢١ أكتوبر ٢٠١٠ ليستفيدوا كما قالوا من المعلومات التى توصلهم للعقيد القذافى ويقتلونه ويركزون القصف على مكان تواجده عند قيام الحرب.

محاولة التصالح

اتخذت مكتبا فى الهضبة الخضراء.. ومكتبا آخر بأمانة الخارجية وتم ايصال المكتبين بهاتف القيادة.. وبذلت جهدى فى محاولة لإصلاح الوضع.

اتصلت بصديقى نصر بسكرى فى بنغازى وهذا الرجل هو مسئول مكتب الأمن الخارجى فى أجدابيه.

تمت مداهمة مكتبه وانتقل إلى بنغازى وهو على اتصال بمجموعة مشائخ القبائل فى برقة.

تحدثت معه وطلبت منه أن يبلغهم سلامى وأن نشكل لهم لقاء مع مشائخ غرب ليبيا ويجتمعون فى لقاء يقررون فيه ما يمكن أن يصلح ذات البين.

ذهب نصر إلى مجلس المشائخ وكلمنى من عندهم وأعطى الهاتف لشخص يدعى على السنوسى الذى بدأ حديثه معى بأن أى لقاء يضع فى حسبانه أن القذافى وضناه لن نقبلهم ويجب أن يترك السلطة.

وقال لقد استشهد لنا ثلاثة آلاف من أولادنا -العدد مبالغ فيه - فاجبته إن الشهادة يعلمها الله.. ويجب أن نوقف نزيف الدم وقد يصبح الثلاثة آلاف ستين ألفاً أو أكثر.

وغضب على السنوسى من قضية الشهادة وبدأ يناقش فى هذا الموضوع ونسى قول رسول الله ﷺ فى حرب المسلمين إن القاتل والمقتول فى النار.

وانتهى الحديث ولم نصل إلى نتيجة.

وعلمت فيما بعد من نصر إن الجماعة كانوا يضنون أن يستقطبونى إلى جانبهم

لأن سفير ليبيا فى السعودية انشقاقه سيكون كما قال نصر (يقصم ظهر القذافى).

وقال نصر إن أحدهم صاح على على السنوسى قائلاً له: (قل له ينتلف) أى انهى المكالمة معه.

وهم لا يعلمون أن وفائى لوطنى يمنعنى من طعن الأصدقاء من الخلف وطعن الوطن فتدخل الناتو قلب المعايير.

وكان القذافى يسعى لحل الموضوع سلمياً وخاطب كل المناطق المتمردة يسألهم ماذا يريدون؟. وكان يقول ليجتمع الشعب ويقرر ما يريده.

وأرسل إلى الشرق مسيرة سلمية فى حافلات تحمل الرجال والنساء فقابلوهم بالرصاص.

وكانت منطقة الجبل الغربى يتزعمها الزنتان وقد أعلنوا إنشقاقهم على النظام وكذلك مدينة مصراته والزاوية وزواره وجادو ونالوت وكاباو والرجبان وجزء من الرحيبات.

وتم تكليف اللواء محمد العيساوى وهو من المنطقة لإنهاء التمرد واتصل بالمتمردين وحاول التصالح معهم وفاوضهم واتفقوا أن يلقوا السلاح إلا أنهم هاجموه ليلاً فى الحرابة وانسحب بصعوبة.

وكان حريصاً على عدم إراقة الدماء أو قتل المواطنين.

وكان العقيد القذافى يأمر بعدم استخدام القوة ضد المدنيين وأن يحاول الجيش السيطرة على المدن وحماية المنشآت العامة والدوائر الحكومية والمستشفيات.

وكان المتمردون تتدفق عليهم الأسلحة من فرنسا وتركيا وقطر والإمارات متخذين من تونس نقطة تمركز لهم وكان الجيش التونسى يحمى شحنات الأسلحة لإدخالها إلى ليبيا خاصة بعد سيطرة المتمردين على معبر (وازن) وانخرط مع المتمردين آلاف المرتزقة من تونس والجزائر ومصر جندتهم قطر للقتال فى ليبيا إلى

جانب مجموعات القاعدة من أفغانستان وباكستان والعراق وفلسطين وغيرها من شذاذ الآفاق تتكفل قطر برواتبهم وحاول القذافى الاتصال بمصراته التى سيطر عليها الإرهابيون ونشروا صورة تجمهر يخرجون قلب جندى ليبى ويعطونه لمصرى ليمضغه.

المعارك مستمرة حول مصراته وكاد أن يتم تطهيرها من الإرهابيين وقرر أهاليها إعلان الندم والتراجع عن الحرب وكتبوا وثيقة يوم الجمعة (جمعة الندم) إلا أن بنغازى أرسلت ١٠٠٠ جندى عبر البحر ليشعلوا الحرب من جديد ومزقوا الوثيقة واتصل القذافى بالزنتان ولامهم وكاد أن يصل معهم إلى حل إلا أن البرانى شكال الذى كان متآمراً وهو قائد كتائب الأمن أمر بقصف الزنتان بالصواريخ بعد الاتفاق ليفسده واستمر الزنتان فى قتالهم وانتقلت العدوى إلى ككله وغريان..

حاولت أن أتوسط مع الزنتان والتقيت مع أمين مؤتمرهم المسمى الناجح فى منزل قريب لى.

وتحدثت معه كثيراً ولمته عما يفعل الزنتان الذين كان القذافى يثق فيهم ويهتم بهم حتى مخازن الأسلحة والذخائر أنشأ الكثير منها فى منطقة الزنتان لثقته فيهم.

قال لى الناجح أن الزنتان غاضبين منك لأنك ألفت كتاباً فى التاريخ هاجمتهم فيه ومسحت تاريخهم الجهادى.

قلت له لقد طلبت منكم اللقاء فى مركز جهاد الليبين أو فى الجامعة أو فى التليفزيون ونناظركم فإن كان الكتاب غير صحيح ما جاء فيه أحرقه واعتذر للزنتان ولكنكم رفضتوا والآن أنا على استعداد للذهاب إلى الزنتان وأحرق جميع كتبى التى ألفتها وأقدم نفسى ليقتلونى فى ساحة السوق بالزنتان بشرط أن يتراجعوا عن موقفهم فالوطن أهم من حياة الأفراد.

اتفقت مع الناجح على ذلك ووعدنى بأن يذهب إلى الزنتان ويرجع.

وأبلغت القيادة بذلك فقال لى العقيد استمر معهم.

ولم يرجع لى الناجح لا بالسلب ولا بالايجاب وأخبرنى أحمد رمضان قلم العقيد الذى قال لى إن الناجح هذا دوته فارغة وكذاب لقد منحناه سيارة ومبلغ مالى ولكنه لم يفعل شىء.

واتصل أبوزيد دورده بالزنتان وكلف العقيد مجموعة من وجهاء الزنتان لإقناعهم منهم الأستاذ مختار ديره ومندوب ليبيا فى تونس اللواء أحمد النقاصه ولكن الزنتان لم يستجيبوا للوفد.

وانتقل أحمد النقاصه إلى تونس بحجة علاج ابنته وقال شلقم فى مذكراته أنه كان على علاقة به.

واستقبلوا اليهودى برنار ليفى الذى كان يمرح ويسرح فى بنغازى وبعد انتهاء الأحداث ترأس عبدالوهاب الزنتانى وفدا إلى قطر يحمل وثيقة البيعة لأمير قطر.

وكان عبدالوهاب هذا ناصرياً قومياً عينته الثورة محافظا لبنى غازى إلا أن المواطنين رفضوه فعينته الثورة سفيرا لليبيا بقبرص ثم فى روسيا.

وبعد انتهاء الأحداث ٢٠١١ وسقوط طرابلس ترأس وفداً لزيارة قطر وقدم وثيقة البيعة لأمير قطر وقرأها أمامه وقيل إنه قبل يده.

مؤتمر منظمة المؤتمر الإسلامى

فى أواخر الأسبوع الثانى من شهر مارس قررت أمانة المؤتمر الإسلامى عقد مؤتمر بخصوص ليبيا.

كان تجاوباً طيباً أن كان الغرض منه التضامن مع ليبيا.

إلا أن المؤتمر جاء بعد انعقاد المؤتمر الخليجى الذى ترأسه السعودية والمطالب بتدخل مجلس الأمن لحماية الشعب الليبى من قصف القذافى له بالطيران وهذا ما لم يحصل أبداً.

طلبت الأذن بحضور المؤتمر باعتبار أننى مندوب ليبيا الدائم فى منظمة المؤتمر الإسلامى فأذن الأخ العقيد لي بحضور المؤتمر.

جهزت نفسى وتوجهت إلى مطار طرابلس لامتطى الطائرة. كان المنظر مؤلما فى المطار. آلاف الأفارقة يتكدسون فى المطار يملأون حديقة المطار وساحاته الخارجية.

بعضهم اتخذ من الشجيرات مأوى له. غطاها ببطانية أو قطعة قماش ليستظل بها. وبعضهم نشر ملابسه على الأشجار. وبعضهم يطبخ طعامه بنار عيدان قطعها من الأشجار. بعضهم يبيع الأشياء الصغيرة. فوضى لا حدود لها. ورائحة البشر النتنه تملأ الفضاء لخلو المكان من استعدادات لاستقبال مثل هذه الحالات التى لم تكن فى الحسبان فلا وجود للمياه ولا لدورات المياه.

لم أستطع الدخول إلى المطار إلا بصعوبة وبمساعدة الشرطة الذين شقوا طريقى إلى الداخل بشبه القوة.

صعدنا الطائرة الليبية وهى آخر طائرة تقلع من مطار طرابلس إذ أصدر بعدها

مجلس الأمن حظرا على الطيران الليبى.

لم يقدموا لنا شيئاً فى الطائرة ولما سألت المضيف أجابنى بأنهم لم يستطيعوا إدخال سيارة التموين إلى داخل المطار من شدة الزحام.

كان الجو كئيباً ومقلقاً يظهر على وجوه المسافرين وعلى وجوه المزاحمين فى المطار.

■■■

وصلت الأردن وسافرت فى نفس اليوم إلى جدة ليلاً حيث وصلتها ووجدت أحد موظفى السفارة يستقبلنى حيث قادنى إلى الفندق.

عند الصباح طلبت مقابلة أمين منظمة المؤتمر الإسلامى وهو رجل تركى مثقف ومهتم بالتاريخ نشأت بينى وبينه علاقة ثقافية وتبادلنا المؤلفات - وقد رشح نفسه أخيراً لرئاسة تركيا حدد لى موعدا فى نفس اليوم.

وصلت إلى مقر المنظمة. كان لنا فيها ثلاثة أو أربعة موظفين أقدمهم وأشهرهم سالم الهونى وهو رجل طيب مثقف عاقل استقبلنى فى مكتبه وتحدثنا فى الشأن الليبى واتصل بمدير مكتب الأمين يخبره بحضورى وهو رجل تونسى عرفته فى اللقاءات السابقة يحضر مع الأمين ويسجل الحديث الدائر مع الضيف.

استقبلنى الأمين وشرعت أحدثه عما يجرى فى ليبيا بعيداً عن الإعلام.

تحدث الأمين مصدقاً ما يقوله الإعلام ويتهم القذافى بأنه يقتل شعبه وطلب منى بإشارة أن أنضم للشعب بدلاً من أن أدافع عن النظام.

فأجبته أنا ممثل لهذا النظام يتعرض لهجمة كاذبة ومؤامرة منسوجة وتريدنى أن أقوم بالتخلى عنه والانضمام للمؤامرة.

هز كتفيه قائلاً: رأيك.

طلبت من الأمين إرسال لجنة لتقصى الحقائق فوعدنى بذلك.

فى اليوم الثانى تم عقد المؤتمر كان برئاسة أمين المنظمة والسعودية.

كان الأمين المساعد للخارجية أو المكلف بشئون المنظمات وهو من الأسرة الحاكمة عرفته فى السنوات الماضية وكان لى معه لقاءآت ومع أقربائه وهو تركى سعود وبقية المؤتمرين هم السفراء العرب والمسلمين الذين عرفتهم طيلة السنوات الماضية.

إلا أن الموقف غير الموقف والناس غير الناس لقاءاتهم معى فاترة وسلامهم بارد.

وابتدأ الاجتماع وتكلم مجموعة منهم يطالبون بالوقوف مع الشعب الليبى وحمايته من بطش القذافى وطيرانه.

أخذت الكلمة وشرحت لهم فيها حقيقة ما يدور. وأوضحت لهم أن الإرهاب هو الذى يحرك الأحداث فى بنى غازى وسبق لنا مقاتلته منذ أكثر من عشرين سنة.

سمعت أحدهم يعلق من طرف الطاولة البعيد قائلاً: (علقوا على شماعة الإرهاب).

كان التيار ضدنا باستثناء بعض السفراء الأفاضل الذين أيدونى وأكدوا على طلبى إرسال لجنة لتقصى الحقائق وأذكر منهم الأستاذ محمد قاسم من مصر كان سفيراً فى الرياض ثم أصبح مسئول الشئون العربية فى الخارجية المصرية وسلم على بحرارة وأبدى تعاطفه. ومنه السفير المالى وهو من عرب شمال مالى وسفير الجزائر وهو من الأصدقاء.

أما صديقى سفير قطر فلم يتكلم.

وفى الاستراحة وقفت مع مسئول الخارجية السعودى وأنا أقول له.

قال عثمان ﷺ فى رسالة لعلى بن أبى طالب ﷺ أثناء حصار الرعاع له:

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل

فأتم هو البيت

وألا فادركنى ولما أمزق

وانسحب منى مستأذنا بحجة الاجتماع سيبدأ.

أما أمين المنظمة التركى فوقف معى ليقول لى انه عليه ضغوط لإخراج ليبيا من المنظمة وتعليق عضويتها ولم يقل لى من أين تتم الضغوطات.

عرض البيان الختامى واقترحنا زيادات وتعديلات واقترحت عدة اقتراحات وقيل أن الإدارة التى ستتولى طبع البيان ستضع الاقتراحات ولكن مع الاسف صدر البيان بعد انفضاض المؤتمر ولم يكن للاقتراحات فيه أى أثر باستثناء إرسال لجنة تقصى الحقائق التى أرسلت إلى ليبيا بعد أكثر من شهر.

■■■

التقيت بموظفى القنصلية كانوا قرابة ١٤ موظفاً وتحدثت معهم عن الأحداث ولما أننى كنت مدرساً وأحس أثناء شرحى للطلاب الذين فهموا والطلاب الذين لم يستوعبوا الدرس.

لقد احسست أن موظفى القنصلية ليسوا مع النظام الذى أرسلهم ليمثلونه ويدفع لهم رواتب مجزية.

وعلمت فيما بعد أن بعضهم كان يتصل بأئمة مساجد جدة يطلب منهم مهاجمة نظام القذافى ويعطيهم صورة غير صحيحة.

كان القنصل غير واضح فى توجهه وحتى عندما طلبت حضوره معى فى المؤتمر اعتذر بأنه به مرض لا يجعله يستطيع الجلوس طويلاً.

رجعت إلى الرياض وقد أصدر مجلس الأمن قراراته ١٩٧٠ ومن بعده ١٩٧٣ ومنع الطيران الليبى من التحليق وفوض (الناتو) لحماية المواطنين الليبيين وهاجمت الطائرات الفرنسية رتل الجنود الليبين الذين يتوجهون إلى بنغازى وعلى مشارف بنغازى والجنود يبيتون بآلياتهم تمت مهاجمتهم وقتل أكثر من ٤٠٠٠ آلاف جندى وحطمت آلياتهم ١٩/ ٣/ ٢٠١١ وقبل ذلك توجه وزير خارجية السعودية إلى تركيا

وموسكو واستطاع إقناعهم بالانضمام لمهاجمة ليبيا.

كما اتجه الأمير بندر بن سلطان إلى الصين والهند وماليزيا لإقناعهم بذلك. كان السعوديون جادين فى السعى لإسقاط نظام القذافى. وللوقوف مع ما يسمى بالربيع العربى فكتبت ٣ مذكرات واحدة إلى الملك عبدالله والأخرى إلى الأمير نايف والثالثة إلى وزير الخارجية أشرح لهم حقائق ما يجرى والوهم على موقفهم من ليبيا وانضمامهم إلى الناتو لتحطيم بلد عربى مسلم.

لم أتلق أى رد على المذكرات.

وأرسلت مجموعة وثائق للأمير مقرن مدير المخابرات فيها توضيح لدور قطر وسلمت الوثائق للضابط المكلف بربط العلاقات الأمنية بين ليبيا والسعودية.

الضابط من تاجورا ولم أكن أعلم أنه منشق فلم يبلغ الوثائق كما علمت فيما بعد بل سلمها إلى مصطفى عبدالجليل. لم يكن للسفارة مراقب مالى فى إطار العلاقات السيئة بينى وبين الخارجية (موسى كوسه).

لم يعينوا مراقب مالى للسفارة بل كلفوا مراقب مالى بالسفارة بالبحرين وهو على شاكلتهم بأن يحضر إلى الرياض يوم أو يومين فى الشهر ثم يرجع من حيث أتى.

وانقطع نهائيا ويسمى محمود سالم الأصيبعى وبقيت القضايا المالية معلقة ودائنوا السفارة يترددون علينا بالحاح.

فقمت بتكليف أحد موظفى السفارة ليتولى التوقيع الثانى ويدعى عبدالقادر الحبشى.

وجاء المراقب المالى بعد غياب أكثر من شهر علمت أنه مكلف من المتمردين بالاتصال بالمتمردين ويوزع عليهم الأموال التى تعطيها لهم قطر فى تونس.

وأراد أن يخلق مشكلة مع المصرف ففصلته من العمل فى السفارة.

وأصبحت الدول تجمد أموال ليبيا فى المصارف فاقترحت على الموظف الذى

عينته للمالية أن يقوم بسحب مليون دولار من حساب السفارة ويضعه عنده فى الخزانة حتى إذا ما قامت السعودية بتجميد حساب السفارة تكون عندهم السيولة لرواتب الموظفين والعمال وتسيير العمل.

إلا أن الموظف رفض التوقيع وكاد أن يبكى وهو يقول لى: إنى وحيد أمى ولا أستطيع أن اسحب هذا المبلغ لأننى لست مالياً ولا علم لى بالصرف وقد يحاسبوننى.

فصرفت النظر عن الموضوع وسافرت إلى طرابلس.

وبعد سنة من سقوط النظام علمت أن هذا الموظف يتبجح بأنه رفض سحب المبلغ الذى كان السفير سيدفعه للمرتزقة ليحاربوا فى ليبيا.

والذى يعرف السعودية ونظرية الكفيل وصعوبة إخراج عامل أو عاملة منها أو إدخالهما لها يعرف كذب هذا الموظف.

وفى هذا الأثناء جاءتنا رسالة من الخارجية السعودية تطالب بأن العمالة المحلية التى تشتغل فى السفارة يجب أن تكون إقامتها على حساب السفارة.

وجمعت موظفى العمالة الأجنبية وأوضحت لهم طلب الخارجية السعودية وخيرتهم بين نقل كفالائهم على السفارة أو تقديم استقالاتهم استجابة للأمر السعودى.

وقدم أكثر من ١٥ خمسة عشر عاملاً استقالاتهم لأن كفالة السفارة غير مضمونة لهم إذ قد تستغنى عن خدماتهم فى أى لحظة.

وقمنا بدفع مستحقاتهم ومخصصاتهم ورواتبهم. وبعد خروجهم تبناهم أحد ضباط الأمن السعودى وشجعهم على تقديم شكوى فى السفارة.

وأبلغت الخارجية بذلك كان السيد دهام الدهام فى الخارجية رجلاً محترماً وعدنى بمعالجة الموضوع.

أن أسوأ مرحلة يمر بها الإنسان هو أن تكون له عين على الصديق وعين على العدو.

فلقد استغل مسئول الأمن بالسفارة هذا الموقف واسمه الهادى التومى وبدأ يكتب فى الإنترنت أخباراً تسئ للسفير وكان يضمر الانشقاق كما فعل المراقب المالى الأصيبعى.

وطلبت من الخارجية أن توافق على تعويض العمالة الأجنبية بمجموعة من الشباب الليبى كسائقين وحراسات وغيرها كبقية السفارات الأخرى.

وقدمنا للخارجية السعودية قائمة بأسماء العمالة التى نرغب تعويضها من ليبيا على أن تمنحهم تأشيرة دخول فلم توافق حتى هذه الساعة.

واتصل بى أحد الأصدقاء الصحفيين من جريدة الشرق الأوسط برسالة يطالبنى فيها بالانضمام للشعب - حسب قوله - والانشقاق عن القذافى ولم أرد عليه.

لقد بدأ الناتو يهاجم ليبيا بضراوة وأصبح كل عاقل لا يشك فى تحطيم ليبيا والإطاحة بالنظام إلا أن الموقف الوطنى يفرض الصمود والدفاع عن الوطن وعدم الاستسلام أمام حرب فرضت على الليبيين.

قمت بجمع أوراقى وملابسى وملابس الأسرة وكتبى ووثائقى فى صناديق جاهزة للشحن كنت أملك فى المكتبة أكثر من ٢٠٠٠ ألفى كتاب ومجموعة مجلة العربى فى ١٠٠ مائة مجلد ومجموعة من المخطوطات والوثائق والكتب النادرة.

أحرق الموظفون هذه الصناديق بعد سقوط النظام ليثبتوا ولاءهم للنظام الجديد وليته كان نظاماً.

كما تركت مجموعة من الهدايا وشهادات التقدير والدروع من ضمنها بندقية كلاشنكوف من الذهب أهداها لى سمو الأمير فيصل بن عبدالرحمن آل سعود.

استولوا عليها وسلموها للمقريف عندما جاء إلى الرياض.

كم هى مأساة الخيانة وعدم الولاء وعدم الوفاء إنهم نفس الموظفين الذين كانوا معى وساعدتهم كثيراً وتناولوا الطعام فى بيتى عشرات المرات.

بقيت بالسفارة بقية شهر مارس وإبريل أخاطب سفاراتنا بالخارج وأشجع الموظفين على الصمود وعدم الانشقاق.

وكان أحمد رمضان يتصل بى ويلح على رجوعى وفى إحدى المرات قال لى: (إنك تميز القوى حتى ترجع أولاً).

قلت له يا أحمد هذا الكلام لا يقال لى وقفلت عليه الخط.

كانت المعارك تدور فى العقيلة وهى بين كر وفر.

■■■

جمعت الموظفين وقرأت عليهم برقية تأييد للقيادة فى ليبيا وقلت لهم إن وافقتوا عليها أرسلها باسمكم جميعاً وإن لم توافقوا عليها أرسلها باسمى.

فوافقوا عليها وكذلك قرأتها على القنصل فى جدة فوافق عليها كانت البرقية تؤكد على بقاء المجموعة فى السفارة والقنصلية على المبدأ وإنها ضد الناتو وعملاء الناتو.

وقرئت البرقية عدة مرات فى الإذاعة الليبية فى زمن كانت السفارات تنهار وأخبارها تصل إلى الوطن.

وأنهارت بعثة ليبيا فى الأمم المتحدة ووقفت تؤيد مشروع مجلس الأمن بل إن رئيس المجموعة عبدالرحمن شلقم انهمر باكياً وهو يعانق مساعده الدباشى فى منظر مضحك يعيد للأذهان العجائز الليبيات فى المآتم فرحا بتدخل الناتو ضد بلده.

وانطلق شلقم يشتغل ضد بلده بتكليف من أسياده الذين جندوه ويفرج عن أموال الذين ينشقوا.

طلبت مقابلة السفير الصينى الذى تربطنى به علاقة طيبة وهو يجيد العربية فالتقيت معه فى بيته وشرحت له ما يدور فى ليبيا وأبعاد المؤامرة.

لم يكن متحمسا لما أطرح وودعته كما طلبت مقابةل السفير الروسى الذى

استقبلنى فى صالون السفارة وشرحت له الموقف وما يجب لروسيا من دور إلا أنه لم يعدنى بشىء.

وبما أننى عميد السلك الدبلوماسى الإفريقى فكرت أن أجمع سفراء إفريقيا وأشرح لهم الوضع إلا أننى رأيت أن الأفارقة لا يستطيعون مخالفة فرنسا وأوروبا خاصة وأن رئيس السنغال أبدى ابتهاجه بالتدخل الأوروبى فى ليبيا وهو الذى كان عالة على ليبيا التى دعمته للوصول إلى الرئاسة.

وقد التقيت به وهو عبدالله واد فى الرياض عند زيارته للسعودية وكان رفقته صديقنا المرحوم أحمد نياس الذى سهل اللقاء.

وكان عبدالله واد يثنى على العقيد القذافى حتى قال لأن أصبح موظفاً فى إفريقيا الموحدة خير لى من أن أبقى رئيسا للسنغال.

كما لم أجمع السفراء العرب الذين تربطنى بهم صداقة. مخافة أن لا يستجيب اكثرهم فالخليج الإمارات والبحرين وقطر والسعودية من الذين طالبوا بتدخل الناتو. وسوريا لها مشاكلها. وتونس انقلبت فيها الأوضاع. وكذلك مصر والسودان يعلن عداءه لليبيا ويزود المتمردين بالسلاح.

فصرفت النظر عن دعوة السفراء العرب وزارنى بعض الإخوة السعوديين يتأسفون لما حدث وبعضهم اتصل مقترحاً أن يصدر أحد المشائخ فتوى بحرمة الخروج على ولى الأمر واستحسنت الفكرة ووافقته.

بعد أيام جاءنى قائلا إن الشيخ يطلب مليون دولار لإصدار الفتوى فرفضت العرض.

وترأس الشيخ القرضاوى صدارة الفتاوى بأن من يقتل معمر القذافى سيدخل الجنة.

وهذا ما ذكرنى بخطية الضابط الإيطالى فى المجندين الليبيين الذين يسوقونهم إلى معركة القرضابية قائلاً لهم من يقتل فى المعركة أعطيه برميستو لدخول الجنة والبرميستو هو الإذن وأصبحت نادرة يتندر بها المجاهدون. واستقبلنى بعض

الأمراء فى بيوتهم وهم يتأسفون لموقف حكومتهم.

وبعضهم أرسل برقيات تأييد للقيادة الليبية منهم جلوى بن مسعود وابن عمه الذين أذيعت برقياتهم فى الإذاعة الليبية.

أرسل لى ضابط متقاعد من موريتانيا وهو من أصدقاء القذافى يقول إن معه ٥٠٠ ضابط وجندى متقاعدين على استعداد للذهاب إلى ليبيا للقتال ضد الناتو.

حولت البرقية إلى طرابلس وأرسل لى موسى كوسه أن المجموعة يمكن أن تقدم عن طريق الجزائر أو النيجر.

ولم يقدم أحد.

ونشرت السعودية البرقية بعد أن سلم لها موظفو الكتب الملف السرى والشقرة للسفارة.

ولاحظت أنهم نشروها فى الشرق الأوسط وتبجح سفيرنا فى الجزائر عبدالمولى الغضبان الذى كان على علاقة بشلقم ويكاتبه أن وطنيته الجامحة رفضت استقبال الموريتانيين لإدخالهم إلى ليبيا علما بأن الموريتانيين لم يتحركوا من بلادهم وأن برقيتهم هى تسجيل موقف.

وصلتنى برقية من القيادة بالشفرة تطلب إبلاغ الملك عبدالله هذا السؤال.

هل أنتم تحالفتوا مع الإرهاب؟

إن ما يجرى فى ليبيا هو صراع ضد الإرهاب. وطلبت مقابلة الملك عبدالله ولم يحدد موعد لاستقبالى بل كلف الأمير مقرن بن عبدالعزيز مدير الاستخبارات العامة.

استقبلنى الرجل كعادته باسما بشوشا وبلغته الرسالة ولم يرد بل قال لى سأبلغها لخادم الحرمين الشريفين.

كان معه اثنين من أعضاء المخابرات فقال لى هل يضايقك وجودهم فأمرهم بالخروج قلت له لا ليس ما أقوله سراً وهم سيعلمونه. وودعت الأمير مقرن وموظفيه وخرجت وعلمت ما حدث له أخيراً أتمنى له التوفيق.

رسائل الساعدى

احضر لى أحد موظفى الساعدى القذافى ثلاث رسائل مقفلة فى طرابلس لإيصالها إلى السعودية.

أحداها لوزير الخارجية.

والثانية لرئيس مجلس الشورى.

والثالثة للملك عبدالله.

ولم أسأل عن الرسائل وظننتها طلب من السعودية أن تتدخل فى المشكل أو تصرف سياستها من أجل إخراج ليبيا من هذا المأزق خاصة وأنها فعلت ذلك فى قضية لوكربى.

وقمت بارسال رسالة وزير الخارجية بإرفاق من السفارة وكذلك رئيس مجلس الشورى.

إلا أننى فكرت أن أفتح الرسالة الموجهة للملك. فوجدت فيها أن الساعدى يطلب اللجوء السياسى فى السعودية ويطلب من الملك قبوله منتسبا فى جامعة الإمام بالمدينة المنورة وهو رجل سلفى.

لم أرسل الرسالة للملك واحتفظت بها وندمت أننى أرسلت الرسائل السابقة.

وكانت خيبة أمل لى أن يصدر هذا من الساعدى ووالده وأخوته يصارعون الناتو وأنصار الناتو وكان ذلك فى بداية تدخل الناتو.

ولم أعلم أحد بالرسالة ولم أبلغ والده بذلك.

وعندما خرج من ليبيا إلى النيجر أجرى مقابلة فى فضائية (العربية) قال فيها أكثر

من الذى كتبه فى الرسائل.

لقد طالب من والده التسليم لهؤلاء الإسلاميين وذكرهم بكل خير.

ولم يشفع له هذا بل قام الإسلاميون بشرائه من النيجر وأودعوه السجن.

■■■

جهزت نفسى للرجوع إلى ليبيا ولم يكن السفر إلى طرابلس ميسر فرأيت الرجوع عن طريق تونس وهى المرة الأولى التى أدخل تونس منذ عام ١٩٧٢ وكنت أتوقع القبض على.

لم يحضر الرجل الذى كلفته بالقايم بالأعمال لتوديعى كان اسمه محمد الشكل وكان من مدينة الزاوية التى انشقت عن النظام وتبين أن الشكل منشق إلا أنه كان يخاف أن يجهر بذلك.

فعندما سافرت وأنهارت الدولة أمر بحرق مكتبتى وملابسى فى منزل السفارة وأخذ الهدايا وتسليم البندقية للمقريف وتسليم الملف السرى للسعوديين وكذلك الشفرة.

إنه اللؤم والخيانة التى لا حدود لها فهذه الأشياء هى ملك الوطن.

السعوديون قاموا بنشر مجموعات من البرقيات السرية فى جريدة الشرق الأوسط وصدق من قال كما تدين تدان. فلقد نشر موقع (ويكى ليكس) أكثر من نصف مليون وثيقة سرية للدولة السعودية نشر فيها جميع غسيلهم وهى بداية التوجه للسعودية لضربها وتقسيمها وهو ما لم نتمناه.

وصلت إلى تونس وفى المطار كانت الشرطة التى استلمتنى يطلب كل واحد على حدة (الفرحة) وتعنى تقديم رشوة لهم.

ودفعت لعدة أفراد مبالغ لا مبرر لها.

وخرجت من المطار حيث حجزت فى الطيران الداخلى للتوجه إلى جربه التى وصلتها ليلاً وكان فى استقبالى سيارة المراسم الليبية حيث اخذنى السائق إلى فندق

هناك يدعى (صدرى بعل) وعلمت أن المتمردين اتخذوا من جزيرة جربه غرفة عملياتهم وفى الصباح خرجنا لأدفع ثمن الإقامة بما فيها إقامة السائق ومبالغ زائدة عرفت أنها ثمن قنينات الخمر التى احتساها السائق وكنت فى الماضى لا أدفع ثمن الخمر إلا أننى هذه المرة لم أعلم أن المبالغ ثمن خمر.

كانت الطريق تغص بالليبيين المؤيدين والرافضين وعلمت أن بريطانيا طبعت ٧٠ مليون قطعة قماش أعلام ليبية سبق وأن كانت أعلام المملكة أيام سيطرة هيئة الأمم على ليبيا بعد خروج إيطاليا.

وكان أدريان بلت الذى وضع دستور المملكة والعلم ها هو اليوم يعود تحت جناح الناتو بعد ستين سنة باسم ليون.

كما كانت السيارات الكبيرة المغطاة بالخيام تحرسها القوات المسلحة التونسية والحرس الوطنى تسير فى ارتال تعرقل الطريق.

إنها تحمل الأسلحة القادمة من فرنسا ومن قطر ومن الإمارات وتركيا دعما للمتمردين لتدخل عن طريق معبر (وازن) الذى سيطر عليه المتمردين.

لقد وقفت تونس مع المتمردين تدعمهم بالرجال وتمرير السلاح.

وتستقبل العائلات التى انضم رجالها للمتمردين وانشأت قطر مخيمات للاجئين تدفع رواتب الشباب والرجال ليلتحقوا بالمتمردين ويعيث القطريون فسادا فى المخيمات بحجة الإشراف على تموينها وتقديم مصاريف الاجتياح.

كان معبر رأس جدير مكتظا بالسيارات والزاحفين من البشر.

وهناك مخيمات تقام على جانبى الطريق فى الأراضى التونسية للأفارقة الذين خرجوا من ليبيا هروبا من الحرب.

كان النظام التونسى (الإخوان المسلمين) يتاجرون بهذه المخيمات ويطلبون المساعدات من الأمم المتحدة ومن الأمم الغير متحدة بحجة تقديم الأكل والمنامة

للقادمين إليها من ليبيا وشرعت الدول مثل مصر تنقل رعاياها من تونس.

كما اختط المتمردون خطة القبض على العمال الأفارقة وتقديمهم فى الشاشات على أنهم مرتزقة جلبهم القذافى.

يلبسونهم قبعات صفر على أنها بدل المرتزقة من القذافى.

■■■

وصلت إلى طرابلس بعد تعرجات عن الطريق فى منطقة الزاوية التى سيطر المتمردون عليها. وسيطر الجيش على الطريق الساحلى يوجهون الناس للطرق الآمنة.

أبلغت القيادة وصولى وحددوا لى موعداً مساء الغد للقاء الأخ العقيد.

جئته فى القيادة وفى مكتب مدير مكتبه رمضان العمارى جلست فجاءنى العقيد وجلسنا قرابة الربع ساعة أحكى له ما فعلت ودور السعوديين فى الموقف الليبى.

ودخل علينا أحمد رمضان وشرع يعانقنى وهو يتأسف. فسأل العقيد عما حدث فقلت له إن أحمد قال لى فى الهاتف أنك لم تقدم بسرعة لأنك تميز الموقف. فقال العقيد هذا لا يقال للقشاط.. كان مدير مكتبه رمضان العمارى يلح بأننا أطلنا الجلوس مخافة مهاجمتنا من قبل الناتو. لم يعلق العقيد عما ذكرته له وكان مهموما شارد الذهن وخرج من المكتب وتبعته خارجا وهى آخر مرة التقيت فيها بالعقيد وجهاً لوجه مع استمرار اتصالى به بالهاتف لأن الناتو بدأ يطارده ويقصف الأماكن التى أبلغهم بها نورى المسمارى والتى يمكن للقذافى الإقامة بها.

وتم توزيع المتعاونين مع الناتو بأجهزة ثريا ترصد تحركات العقيد وأماكن تواجد الجيش والمخازن للأسلحة ولغير الأسلحة. فلقد تم قصف المستشفيات، والمدارس والمعسكرات، وحتى البيوت، وبدأت تظهر العداوات والأحقاد فيتم ارسال مواقع البيوت على أنها مخازن للأسلحة.

هكذا تم قصف منزل الفريق الخويلدى وقتل من أسرته ١٣ ثلاثة عشر شخصا

أغلبهم من النساء والأطفال.

وهكذا تم قصف عائلات من وادى ماجر فى شهر رمضان أثناء تناول الإفطار فتم قتل ٨٥ شخصا أغلبهم من النساء والأطفال، وقصف مستشفى مزوه.

والناس لم تعد هى الناس. فهناك من يكبر عندما يقصف الناتو وتزغرد نساؤهم.. إنه تصرف يؤلم النفس. فبعد تدخل الناتو لم يعد هناك خيار إنه الدفاع عن الوطن.

ففى هذا الإطار جاءنى ابنى سيف آخر الليل ليبلغنى أن جارنا الولد الذى كان صديقا لابنى سعيد ويتردد على بيتنا ويأكل مع الأولاد أرسل إحداثيات منزلى ليتم قصفه.

خرجنا من المنزل وبتنا بجواره وعند الصباح قمت بتأجير منزل فى قرية سيدى عبدالجليل من جهة البحر ولم أعلم به أحد ونقلت إليه أسرتى.

شاهدت من جهة البحر مجموعة عمارات يحيط بها سور وتتردد عليها سيارات فارهة ويحرسها الشرطة.

سألت عنها فقيل لى أنها مؤسسة مالطيه أجرت هذه الأرض لمدة ٩٩ تسعة وتسعين سنة.

استغربت كيف يتم تأجير أرض ليبية لمدة ٩٩ سنة ونحن لسنا محتاجين لها.

فقيل لى إن هناك أراضى كثيرة تم تأجيرها لقطر والإمارات والطلبان والفرنسيين وتذكرت حديثا أخبرنى به وزير الزراعة أبوبكر المنصورى عندما زار الرياض. قال لى إن شركة قررت شراء قطعة أرض على ساحل البحر فى الجبل الأخضر طولها ١٥ كيلو متر وأن بنكا فرنسيا سيغطى ثمن الشراء وأوضح لى أن من وراء ذلك ٢ من اليهود فأوقفت المعاملة.. هكذا قال لى المنصورى وسألت عمن يكون وراء هذا فقيل لى إن سيف الإسلام وراء ذلك فى محاولة للتقرب للغربيين.

نحن أقمنا الدنيا ولم نقعدها بالمظاهرات والمسيرات ثم بقيام الثورة لأن إدريس السنوسى أجر قواعد لبريطانيا وأمريكا لمدة ٢٠ عشرين سنة.

فكيف نسمح بتأجير أراضى ليبية ولمدة ٩٩ سنة ونبيع أراضى للدولة الأجنبية.

لم يكن هذا فى علمى قبل هذا الوقت.

تحدث العقيد القذافى فى السرايا الحمراء. وقال إنه سيوزع السلاح على القبائل وكان ذلك فى مسيرة مليونية فى الساحة الخضراء. وشرع المكلفون بتوزيع السلاح واستغل المتمردون ذلك فتسرب السلاح إليهم عبر قبائلهم وتم توزيع مليون وربع قطعة سلاح.

ولازالت المعارك مشتبكة فى مصراته والبريقة، والزاوية، وزواره، ونالوت، والزنتان، والرحبان، وكلكه وجادو.

وكان الصيعان بدر وتيجى يتصدون للمتمردين كما أن الريانية القواليش والمشاشية فى الجبل وقفوا يدافعون عن مناطقهم ضد أعوان الناتو.

كانت الأسلحة ترسل عن طريق البحر للمتمردين فى الزاوية ومصراته وزواره كما كانت ترسل عن طريق تونس لتدخل ليبيا عن طريق معبر وازن.

حيث تم احتلال وازن وحرق بيوتها وتهجير أهلها من قبل المتمردين ومن الغريب أن هؤلاء من مناطق جيرانهم نالوت ومن معهم.

كانت هناك مجموعات من الجيش والمتطوعين تدافع عن بدر وتيجى وتعمل على استعادة معبر وازن ومجموعات أخرى تتصدى للزنتان وجادو والرجبان فى مناطق بئر الغنم والكسارات.

وأعلن الجيش فى مصراته أن سيطرته ستتم قريباً فتم تكليف مجموعات من المواطنين والفرسان والفرق الشعبية لتدخل مصراته وتشارك فى احتفال مصراته وعودتها إلى حظيرة الوطن بقت هذه المجموعات فى منطقة (طمينه) لمدة شهرين ولم يتسنى لها دخول مصراته للاحتفال.

وكان خميس القذافى يقود معارك مصراته كما أن المعتصم القذافى يقود معركة

البريقة وأجدابيه وكان الفريق المبروك سحبان يقود معركة الجبل الغربى من غريان والأصابعه والرابطة والزنتان يساعده الفريق عمر تنتوش والفريق عبدالسلام بشير وكان العقيد القذافى ينبه على الضباط بأن يحترموا المدنيين ولا يهدموا المدن.

حتى أن اللواء عبدالسلام بشير أخبرنى بأنه أبلغ غرفة العمليات بأن الزنتان تحت السيطرة ويمكن قصفها بالصواريخ وإنهاء التمرد فلما عرض الموضوع على العقيد أمرهم بالانسحاب وعدم قصف الزنتان أما اللواء محمد العيساوى فإنه اعتذر بأنه لا يستطيع محاربة أهله فى الجبل الغربى.

تم تجهيز كتيبة من المتطوعين لدعم القتال فى بدر.

كان العميد عبدالسلام الكيلانى الذى سبق له وأن تقاعد تمت إعادته للجيش وكذلك العقيد على كروده.

استلم عبدالسلام تجهيزاته واسلحته وسياراته وكان نهاية التسليم قرابة المغرب.

ولما أن الطريق غير آمنة قرر أن يبيت بقواته فى مزرعتى التى لا يوجد بها أحد من الأسرة.

وقفل الطريق إلى الصباح حيث استمر فى طريقه إلى بدر وقام بدور مميز يساعده ابنى سيف.

وأشيع عند الجيران أن العقيد القذافى نام ليلتها ببيتى وهو إشاعة لا أساس لها من الصحة ولو قام بذلك لحميته أنا وأولادى ودافعت عنه ولكن ذلك لم يحصل.

أقبل شهر رمضان ٢٠١١ وكان شهراً كئيباً علي المواطنين لا تسمع ولا ترى إلا المآتم فى كل بيت.

واشتد الحصار على المواطنين ولم تعد المواد الغذائية متوفرة ولا وقود السيارات ولم يعد هناك الغاز للطهى.

وبدأت المجموعات تتساقط. مدير البنك المركزى كان متآمراً وكان المطلوب منه

طبع كميات كبيرة من النقد الليبى فى بريطانيا وسافر فى بداية الأحداث وبدأ يسوف وصول المبالغ المالية وأخيراً أجر طائرة ونقل المبلغ إلى بنغازى ليوضع تحت تصرف المتمردين الذين أسسوا بأمر من برنار ليفى اليهودى مجلس انتقالى برئاسة مصطفى عبدالجليل الذى كان وزيراً للعدل فى النظام الذى انقلب عليه.

كما صار بعض الوزراء ينسحبون بحجة العلاج أو المهام ويعلنون انشقاقهم منهم وزير النفط شكرى غانم الذى كان معارضاً وجلبه سيف الإسلام وعينه رئيس وزراء ثم وزيرا للنفط فسافر ووجد مقتولا فى نهر بالنمسا فى قضية غامضة، كما انشق وزير التخطيط محمود جبريل الرجل الذى اقترحته قطر لشغل وزارة التخطيط وهو لا يفهم من التخطيط شيء.

والذى كان معارضاً ورجع إلى ليبيا ضمن صفقة سيف الإسلام للم شمل الليبيين وتأسيس (ليبيا الغد).

محمود جبريل قام بتهديم كل المبانى القريبة من القيادة بباب العزيزية بحجة تطويرها ونشر لوحات لأبراج عالية ستحل محل البيوت القديمة.

كما قام بتهديم سوق الثلاثاء الذى كانت تتعيش من متاجره وورشة أكثر من أربعة آلاف عائلة.

وتبين فيما بعد أن خطة محمود جبريل هى إبراز القيادة بحيث يسهل ضربها فى أى هجوم كالذى تم فيما بعد وتم دكها بأكثر من ثلاثة آلاف صاروخ.

كما انسحب وزير الخارجية موسى كوسه الذى كان مديرا للأمن الخارجى فى قضية لوكربى وقيل إن البريطانيين جندوه منذ ذلك الزمن.

وانشق بعض الضباط منهم مدير الاستخبارات في نالوت ويدعى العقيد محمد الهمالى وهو من أقرباء القذافى.. وسمح له الإخوان المسلمين فى مصر بأن يشتم القذافى فى إحدى فضائياتهم واستمعت إليه يردد كلاما لا يقال حتى إننى لم استطع الاستمرار

لسماعه مع أنه كان من المنتفعين من النظام.

كما قام اللواء سليمان محمود أحد الضباط الأحرار بمهاجمة العقيد القذافى وقال إن أمه يهودية وهذا الرجل حضرت له موقفا فى مكتب اللواء بالقاسم القانقا عندما كان مديرا للاستخبارات العسكرية وكان معه مجموعة ضباط وكان سليمان محمود يتحدث عن زواجه الأخير وأن القذافى لأمه على ذلك قائلا له إن زوجتك فلانة كنا نجتمع فى بيتها وتطهى لنا الطعام وبعد نجاح الثورة تكافئها بالطلاق والزواج عليها.

فخجلت من الأخ القائد وطلقت المرأة الجديدة والأخ القائد والله لو أمرنى بأن أكفر بالله لكفرت وهذا الحديث لسليمان محمود.

حاولت الرد ولكن بالقاسم القانقا همزنى برجله أن أسكت.. فسكت..

أما اللواء عبدالفتاح يونس أحد الضباط الوحدويين الأحرار والذى قام مع رفاقه بثورة الفاتح من سبتمبر فبعد أن قيل إنهم قبضوا عليه وهددوه باسرته واتصل بالعقيد القذافى يستشيره قيل إنه قال له أعمل بالطريقة التى تحافظ بها على حياتك.

وأعلن انضمامه للمتمردين إلا أننا نجده يقوم بقيادة المعارك معهم ويسافر إلى فرنسا لمقابلة ساركوزى وضباط مخابراته وضباط الناتو الذين يشرفون على قصف ليبيا ويقدم قوائم طلب بالأسلحة والدعم للمتمردين أخبرنى أحد الضباط وهو الراوى لكتاب (اليوم الأخير) بأن عبدالفتاح كان متعاونا مع الجيش الليبى ويراسلهم فى البريقة ولكن أسرته نفت ذلك وقد قتل أنصار الشريعة اللواء عبدالفتاح وقطعوا أوصاله بالرغم من تعاونه معهم أما الضابط سالم جحا الذى أرسلته ليبيا فى دورة على حرب المدن فى موسكو فلقد قاد المعارك فى مصراته ضد الجيش الذى أرسله للتدريب.

ولا أستطيع أن أعدد الضباط الذين انقلبوا على زملائهم وتعاونوا مع الناتو ضد شعبهم ووطنهم.

وتتحدث الفضائيات المأجورة عن كتائب القذافى فى محاولة لطمس دور الجيش

الليبى وتنسبه للقذافى تحقيراً للجيش وطمسا لولائه للوطن.

وكان العقيد القذافى يتصل بالمنشقين ويحاول أقناعهم بالعودة عما هم فيه ويوضح لهم المؤامرة وكان لا يهاجم أحد ولا يشتم أحد ويأمر بإطلاق سراح الأسرى منهم حوالى ألف أسير من المنطقة الشرقية أمر لهم بأن يشتروا لهم ملابس ويطلقوا سراحهم وجهز لهم باخرة لحملهم إلى عائلاتهم وقابل بعضهم منهم أحد أفراد أسرة الأطيوش المغربى الذى نشرت الإذاعة مقابلته له وهو يذكره بأسرته ويبلغهم السلام حتى أن على الأطيوش طلب من العقيد أن يبقى معه حارسا ضمن حرسه ولكن العقيد أرسل المجموعة إلى أهلها فى بنغازى وعاد أكثرهم ممتشقا السلاح ضد القذافى.

واطلق سراح ٤٠٠ من متمردى الزاوية وارجعهم إلي أهلهم. وقال لهم امسكوا أولادكم. إن المؤامرة أكبر منكم.

وكان المتمردون يقطعون رؤوس أسراهم من الجيش الليبى والمتطوعين وينتهكون الأعراض ولا يفرقون بين رجل وامرأة.

وكان رأى العقيد القذافى تسيير مسيرات سلمية باتجاه مناطق المتمردين ومحاورتهم بالحسنى وأرسل مجموعة من العلماء إلى المنطقة الشرقية وفى (أجدابيه) حيث يقضون الليل قصفهم الناتو وهم فى أحد المنازل وقتل منهم ٢٥ خمسة وعشرين عالما وحافظا للقرآن.

كما أرسل قبلهم حافلات تحمل الرجال والنساء فى مسيرة فتمت مقابلتها بالرصاص وقتل منها مجموعة من الرجال والنساء وأسروا مجموعة أيضاً من الرجال والنساء.

وفعلوا نفس الفعل مع المسيرة المتوجهة من الأصابعه وهى تحمل أغصان الزيتون.

طلب منى العقيد القذافى تسيير مسيرة من الصعيان إلى نالوت.. وكلف بها رئيس الوزراء البغدادى المحمودى. الذى أبلغ الأخ العقيد بأن ٦٠٠٠ ستة آلاف شخص

سينطلقون من التوائل والعربان والعجيلات والصيعان بحيث يكون تجمعهم فى (بدر) وينطلقون منها.

أخبرنى البغدادى بذلك واتصلت بالصيعان ليستعدوا لاستقبال المسيرة ويعدون لها الطعام ويوفرون لها الحماية فى المنطقة.

وتم تكليف العقيد المتقاعد عبدالحميد الجدى بالإشراف على توفير الطعام والإقامة للمسيرة.

وانتظر الصعيان مسيرة الساحل ووصل منها ١٥٠ مائة وخمسين رجلا و١٥ وخمسة عشر امرأة تعشوا فى بدر والقوا الخطب وعادوا إلى الساحل.. إن الكثير من المعلومات التى تصل للقيادة غير صحيحة.

وقامت مسيرة كبيرة اسموها بالمليونية فى طرابلس وحملوا علم الجماهيرية الأخضر بطول ٢ كيلو متر تقريبا وخطب فيها العقيد القذافى عندما أعلن توزيع السلاح على القبائل.

وأصبح عبدالرحمن شلقم يغرى الوزراء والسفراء بالانشقاق. ويعدهم برفع الرقابة على حساباتهم التى تم رصدها. هكذا فعل مع بعض الوزراء والسفراء وأخبرتنى زوجة منصور ضو قائلة: لقد خاطبوا منصور من إيطاليا قائلين له سنعطيك شيكا على بياض ونحملك أنت وأسرتك إلى حيث تريد بل انشق على النظام.

وكان رد منصور لو وضعتونى ملكا على ليبيا لن أطعن وطنى وقيادتى من الخلف.

وتم القبض على منصور ضو وهو يقاتل وأودع السجن وعرض للتعذيب إلا أن التاريخ سيذكر منصور فى خانة الشرفاء الذين دافعوا عن وطنهم بشرف ورفضوا الإغراء المادى الذى سقط فى هوته الكثيرون من الضعفاء.

كما قصف مكتب اللواء الخويلدى بعدة صواريخ وقال إنه اتصل به شخص

من فرنسا قال له إنه من مكتب رئيس فرنسا ساركوزى يطلب منه عدم الوقوف مع النظام وعليه أن يرحل بأسرته وهناك طائرة تنتظره بمطار جربه لتحمله إلى فرنسا وأن المتحدث يعده بأن يكون رئيساً لليبيا فى ما بعد.

ورفض الخويلدى الطلب الخسيس وبعدها بأربعة أيام تم قصف منزله بستة صواريخ وقتل ١٣ ثلاثة عشر شخصاً من أسرته.. وصار الخونة يتجولون فى العالم لتحريض الدول على الوقوف مع الناتو على العيساوى وعلى الترهونى وعلى زيدان وعبدالرحمن شلقم ومنصور سيف النصر ومحمود جبريل ومحمود شمام وآخرون سيذكرهم التاريخ باللعنة والخزى ولن ينسى لهم الشعب الليبى وقفتهم المخزية وقد كلف المجلس الانتقالى محمود شمام بالتوقيع نيابة عنه لإعطاء فرنسا ٣٥٪ من النفط الليبى نظير مهاجمتها لنظام القذافى.

سوق الوساطات

بدأ الكثيرون يعرضون وساطاتهم مع دول الناتو مقابل الملايين تدفع لهم.

كما أن ليبيا بقدر المستطاع بذلت الجهد فى الاتصالات بالدول المعنية.

فتم ارسال بشير صالح إلى فرنسا محاولا معها إنهاء الحرب وجاء بمشروع لم يعجب العقيد كما قال لى بشير وأمره العقيد بالبقاء فى بيته فى شهر أغسطس ٢٠١١.

كما ذهب آخرون.

وسألنى العقيد عن سفيرنا فى إيطاليا ويدعى قدوره فقلت له إننى لا أعرفه إلا أن أسرة قدورة من المهاجرين إلى سوريا أيام الطليان وأصبح أحدهم عميدا لجامعة دمشق.

قال العقيد أنه شاب نشط ونعتمد عليه. وبعد أسبوع من حديث القذافى هذا لى انشق سفيرنا فى إيطاليا وكان على اتفاق مع شلقم.

وتحرك كل المخلصين فى ليبيا من أجل إيجاد حل لإنهاء الأزمة. أبوزيد دورده، وعبدالعاطى العبيدى، وعبدالرحمن الصيد، وأحمد محمود، وغيرهم وهناك شاب يدعى اللموشى وصل إلى فرنسا وتحدث عنه اليهودى برنار ليفى.

واتصل بى صديق سعودى وصل إلى الجزائر من أجل التحدث معى وقال إنه تحت تصرفه ٢٠٠ سيارة طاوية دفع رباعى كريزر يريد بيعها لليبيا لأن ليبيا حوصرت فى السلاح والسيارات.

وقال عليكم تدبير وصولها لكم عن طريق الجزائر أو النيجر.

حولت الموضوع للبغدادى المحمودى فلم يهتم وكان يتصل بى المساعدى

القذافى فابلغته بالموضوع فارسل أحد موظفيه إلى السعودى فى الجزائر.

ابلغنى الصديق السعودى أن مبعوث الساعدى لم يتفق معه على السيارات وإنما اتفق معه على مشروع وساطة مع فرنسا.

هناك شخص فى الرئاسة الفرنسية من أصل لبنانى له تأثير على الرئيس ساركوزى مستعد أن يوقف الحرب مقابل مبلغ ٦٠ مليون دولار تدفع على ثلاث دفعات الدفعة الأولى يصرح الرئيس أن المسألة الليبية لا تحلها الحرب.

والدفعة الثانية تطالب فرنسا من الناتو إيقاف الحرب والدعوة للمفاوضات والدفعة الثالثة بعد إيقاف الحرب.

وهذه الدفعات توضع مسبقاً فى بنك يحدده هو بتوقيع السعودى وشخص ليبى هو قال لى بتوقيعك أنت.

وأبلغت العقيد القذافى بذلك ونظرا لحساسية المال قلت له تختار من تثق فيه ليوقع مع السعودى.

العقيد القذافى أجابنى بأن الفرنسيين عليهم إيقاف الحرب وبعدها نتفاوض معهم على ما يريدونه من ليبيا وصفقة الطائرات التى سبق وأن تحدثنا على شرائها منهم يمكن أن ننشط عقودها وكذلك اتفاقيات الغاز.

وأبلغت الصديق السعودى الذى نفض يديه من المشروع ورجع من باريس إلى السعودية وقد تحمل نفقات الوفد المرافق له وتذاكره وإقاماته فله الشكر.

وجاء موظف سفارتنا بالرياض عبدالقادر الحبشى ومعه شاب من ترهونه يقيم فى تونس قائلا لى أن هناك رجل أعمال تونسى له باخرة محملة بالنفط فى عرض البحر تستطيع بعد أربع ساعات الدخول لأحد موانئ غرب ليبيا يريد دفع ثمنها ويأمرها بالتحرك وكانت ليبيا فى ضائقة بخصوص الوقود وقال إنه منسق مع الناتو.

أبلغت القيادة فقالوا لى لتدخل إلى ميناء الزاوية النفطى وتبدأ فى التفريغ ونحن

ندفع الثمن.

إلا أن التونسى اشترط الدفع والسفينة فى البحر.

وربطت بين الشاب الترهونى مندوب التاجر التونسى وبين الأستاذ المهندس على الشامخ العامل بإحدى شركات النفط.

وطلب الشامخ من الوكيل أوراق رسمية تثبت أن التونسى يملك باخرة.

ولم يستطع أن يقدم أى ورقة باستثناء رسالة بسيطة غير رسمية.

وأخبرنى على الشامخ أن البغدادى المحمودى رئيس الوزراء استدعاه وطلب منه الموافقة على شراء الباخرة.

ورفض على الشامخ لأن التونسى يكذب ويقول لى على الشامخ أن البغدادى أوقفه عن العمل.

إلا أنه تبين أن التونسى نصاب ولا يملك أى سفينة ويود استلام المال ثم يختفى.

وكما عرض التونسى عرضه هذا هناك الكثير من العروض الغير صادقة الغرض منها سرقة المال الليبى فى تلك الظروف الحرجة.

والعقيد القذافى يوصى بالحذر من السماسرة وإهدار المال العام.

وكان فى هذه الأثناء الانهيار الكبير فى الدبلوماسية الليبية وتساقط أغلب السفراء يكفى أن قرابة المائة وعشرين سفيرا لم يبق منهم على الولاء إلا عشرة سفراء.

وكل سفير ينشق ينضم إلى جوقة المنشقين قبله ويحرضون العالم على الاستمرار فى قصف ليبيا حتى يسقط النظام.

وتسلل العشرات من ضباط المخابرات القطرية والفرنسية إلى ليبيا وبدأوا يؤججون الحرب ويقتلون المتظاهرين وتعلق وسائل إعلامهم أن القذافى يقتل شعبه وقد ذكر ذلك الفرنسيون فى ندوة أذاعتها (قنال بليس) فى ١٩ نوفمبر ٢٠١٢ ذكرت فيه دور

فرنسا وقطر فى التخطيط للحرب وإسقاط النظام الليبى لأن قطر لم تتحصل على حصة شركة توتال من الغاز الليبى ورفضها الليبيون وأن فرنسا تريد الاستحواذ بالنفط الليبى وتكون فريق من هؤلاء الذين لبسوا ثوب المعارضة بعد أن كانوا من أعمدة النظام وصاروا يتجولون فى العالم يحرضون الدول على عدم الوقوف مع ليبيا فى محنتها.

وكان عبدالرحمن شلقم مندوب ليبيا فى هيئة الأمم المتحدة الذى اقيل يشكل مع منصور سيف النصر وعلى زيدان ومحمود جبريل وآخرون فرقة تمولها قطر تتحرك بين دول العالم لإجهاض أى عمل لإيقاف الحرب وتخفيف الضغط على ليبيا.

وتحركت المجموعات المعارضة والتى اتخذت من الدول الأوروبية مقارا لها منذ سنوات عدة من الإخوان المسلمين والمقاتلة وجبهة الإنقاذ وبقايا القاعدة وأنصار الشريعة.

كما حركت قطر مجموعة من اللاجئين عندها قديما وحديثا ليضجوا فى الإعلام ضد ليبيا وينشروا الأكاذيب والزور والأخبار الغير صحيحة ويقدمهم الإعلام المغرض على أنهم خبراء استراتيجيون فى الحرب والسياسة أمثال محمود الشمام وسليمان دوغه الذى كان أحد موظفى سيف الإسلام والمرافق له.

ومحمود جبريل الذى كان وزيرا فى النظام وعلى زيدان وعلى الترهونى وعلي والعيساوى تساندهم جوقة أخرى فى الداخل مثال عبدالحفيظ غوقة الذى قبل الأحداث بقليل كان يقرأ أمام العقيد القذافى فى خيمته وثيقة الولاء والبيعة باسم المحامين وكان والده سفيرا للنظام ببيروت. ومثل سليمان الفورتيه الذى وقفت معه ومساعدته على العودة إلى ليبيا من السعودية ومحمد بعيو الذى كان الناطق الرسمى الإعلامى باسم اللجنة الشعبية العامة. وجلال الدغيلى الذى كان سفيرا للنظام. واختلط الحابل بالنابل فالذى يكون معك صديقا فى الصباح يمسى عدوا لك فى المساء. وصار اليهودى برنار ليفى يتجول بين بنغازى ومصراته والزنتان يعطى

الأوامر ويكتب البيانات باسم القبائل أو باسم المجلس الانتقالى وينقل من يرضى عن مسلكه إلى فرنسا ليتلقى بالرئيس- ساركوزى أو ينقل من يشاء إلى قطر لتدفع له مبالغ مداينة لليبيا استرجعتها مضاعفة بعد سقوط النظام- وأصبح أمير قطر يعين الوزراء ويقيلهم فى عهد فبراير كما أصبحت تركيا محجا للمارقين عن دولتهم وعن شعبهم وعن وطنهم وزودت المخابرات الأجنبية مئات العملاء الليبين بأجهزة الثريا وأجهزة تحديد المواقع ليساهموا فى تهديم وطنهم وإعطاء الإحداثيات للعدو.

وبرز الكثيرون منهم يفتخرون بأفعالهم بعد انتهاء معارك الناتو منهم مع الأسف نساء يمتدحهن اليهودى برنار ليفى وبرز أشخاص يفتخرون بأن لهم جذور يهودية وآخرون أتراك وآخرون يونان.

وكان الوطن تفتت وأصبح الانتماء إلى ليبيا معاره.

ليبيا ذلك الوطن الضارب أمجاده فى أعماق التاريخ. والذى كانت كل الدول الأوروبية تدفع له الإتاوة بما فيها أمريكا والتى كان البحر المتوسط بحيرة ليبيا والتى تمتد عبر الصحراء نفوذا إلى حدود الكونغو وبحيرة تشاد كانت تسمى بحيرة ليبيا.

هذا الوطن الشامخ صار اللصقاء ينسلخون منه ليلتصقوا بآخرين سيبقون أسيادهم وأعداء الماضى والحاضر والمستقبل.

وامتلأ فندق (ركسس) بالمخابرات الأجنبية والجواسيس الذين جاءوا بصفة صحفيين ينقلون الأخبار.

وكان مرافقوهم من الليبين المكلفون بمرافقتهم كلما أذاع الإعلام المأجور فى الجزيرة والعربية وإذاعات العالم الأوروبى أن طيران القذافى أو كتائب القذافى قصفت مكانا أو مدينة أو قرية يأخذهم المرافقون ليشهدوا أن ذلك كذب ويطلعوهم على مواقع قصف الناتو للمعسكرات أو المستشفيات أو المدارس فكانوا يعطون إحداثيات الموقع ويحددون أماكن القصف إن كانت خارج الهدف ويبلغونها للناتو

فيقصف من جديد بتحديد أدق.

لقد نبه الصحفى الدكتور شاكير إلى عمالة هؤلاء الجواسيس ولكن الهجمة كانت أكبر.

واستأذن عبدالسلام جلود صديقه معمر القذافى أن يذهب للزنتان ليتوسط معهم لإلقاء السلاح. وسمح له ولكن عبدالسلام خرج إلى الخارج وبدأ يهاجم النظام الذى كان هو أحد ركائزه وطلب اللجوء السياسى فى إيطاليا بعد أن أجرت معه الجزيرة عدة لقاءات تنصل فيها من أعماله ويتهم صديقه بالتقصير.

إنه موقف مخجل كم تمنيت أن عبدالسلام جلود لم يقفه وحاول محمد نجم فى بنغازى أن يفعل شيئاً لايقاف الفتنة ولكنه لم يجد آذاناً صاغية.

وقد كان من ضمن الاقتراحات للخروج من الأزمة أن يستلم النظام مجلس قيادة الثورة ويرأسه أبوبكر يونس وتم تبليغ مجموعة من الأعضاء الذين وافقوا على الاقتراح كما وافق العقيد القذافى على ذلك إلا أن الفريق أبوبكر يونس جابر رفض الاقتراح وخطب قائلاً فى مجموعة من الضباط (إن معمر القذافى خط أحمر لا يمكن تجاوزه).

وفشل المشروع وكان الكثير من الناس المخلصين يتمنون أن يكون دور عبدالسلام جلود هو إنقاذ الموقف ولكن عبدالسلام خيب ظن الجميع.

■■■

كانت هناك لجنة تسيير الأزمة تحت رئاسة رئيس الوزراء وفى أحد الأيام إتصل بى يدعونى للاجتماع مع اللجنة مع أن رئيس الوزراء لم تكن العلاقات بينى وبينه حميمية.

واكتشفت أن العقيد آمره بذلك.

كانت اللجنة تتكون من البغدادى المحمودى وعبدالمجيد القعود وأبوزيد دورده. والتهامى خالد مدير الأمن الداخلى وعبدالحميد السايح أحد المسئولين فى الأمن الداخلى ومجموعة أخرى من الموظفين لا أعرفهم.

جلست معهم وكان القلق باديا على المجموعة وحديث المجاملات التى لا تنفع فى هذه الظروف سائدا فى الجلسة.

أوضحت لهم أن خيانات واضحة داخل قيادات الجيش وأن هناك الكثير من المدنيين يتعاونون مع العدو ويعطونه الإحداثيات.

لم يكن الحديث مستساغا للدكتور البغدادى المحمودى فقال لى لا يجب جلد الذات كان بوزيد دورده أكثر صراحة من الجميع.

حضرت اجتماعين لهذه اللجنة ثم لم يستدعينى البغدادى بعد ذلك لحضورها لأن حديثى لم يعجبه.

أمرنى العقيد بالاتصال بغرفة العمليات بالفريق امبيرش رحمه الله.

وصرت اتصل به لدعم جبهة بدر وتيجى. وفى بداية رمضان تمت مهاجمة بدر من قبل المتمردين من الجبل جادو والرحيبات ونالوت واحتلوا الجوش واتصل بى ابنى سيف يخبرنى عن طريق الثريا بأن المتمردين استولوا على الجوش وفى طريقهم إلى بدر وأن المقاتلين تنقصهم الذخيرة.

أبلغت امبيرش بذلك فقال لى غاضباً من أين جاءتك المعلومات والاتصالات منقطعة.

اخبرته بأن ابنى اتصل من الثريا قال لى يتصلوا بالمربع الأخضر ليجدوا الذخيرة.

بعد قليل كلمنى ابنى ليقول أننا لم نجد ذخيرة.

أبلغت أميبرش الذى كان متشنجا أكثر من المرة السابقة.

وقام أحد الضباط ليخاطبنى قائلا إن اللواء أعصابه متوترة فلا تؤاخذه وأربط ابنك بى هاتفيا وسأوضح له موقع الذخيرة.

وفعلا قمت بإعطاء هاتف هذا الضابط لابنى وأوضح له مكان الذخيرة. وتمكنت المجموعة من صد الهجوم وطرد المتمردين من الجوش وزحزحوهم حتى

وصلوا وأدى غدو ٨ كيلو متر شرقى الجوش. كان نصراً مؤزرا لمجموعة المتطوعين من أهالى بدر وكان للمرأة دور بارز فلقد شوهدت الصويعيات يزغردن ويحملن المياه لسقى المقاتلين الجرحى ومنهن من كانت تقاتل مع الرجال.

■■■

كلفنى العقيد بالذهاب للصيعان لدفعهم إلى تطهير معبر وازن والاستيلاء عليه.

جئت إلى بدر ودعوت وجهاء بدر وتيجى ومشائخها للاجتماع فى منزلى.

وطلبت منهم ما قاله لى العقيد وكان من بينهم دكتور من الجامعة يدعى الطيف شليق قال لى: إن هجومنا على وازن سيجعلنا نصطدم مع جيراننا وإذا سقط بيننا القتلى ستبقى سمة عار لنا على مدى الزمن.

وحاولت إقناعه ولكنه أصر على رأيه والمجموعة ساكتة وكأنها توافقه على الرأى.

وفى المرة الثانية كان معى الأستاذ على زكرى وهو من الجبل وأغلب أهله مع المتمردين وهو رجل نظيف وحر.

إلا أن الصيعان الذين اجتمعت بهم لم يوافقوا على الهجوم على وازن وتطهيرها بحجة أن الجيران أوصى عليهم الرسول ﷺ.

وقلت للسيد الدكتور هل الرسول أوصاكم أنتم الصيعان فقط أم أنه أوصى الجميع.

قال لقد أوصى جميع المسلمين. قلت له: إن جيرانكم سيهاجمونكم. قال: إذا هاجمونا سندافع عن أنفسنا.. وفعلاً صمد الصيعان فى مواقعهم وهاجمتهم طائرات الناتو وصواريخهم ليفسحوا المجال أمام المتمردين الذين هاجموا تيجى وبدر يوم ١٧ رمضان وكانوا من جيرانهم سكان الجبل..

كان ابنى محمد قد ذهب إلى بدر قبل المعركة بيومين يحمل علفا للأبل فى سيارة (كنتر) والعلف مغطى بخيمة.

وحضر المعركة وكان يخاطبنى طوال الليل وعند الصباح استولى المتمردون على

بدر يوم ١٨ رمضان وسقط مجموعة من الشهداء كانوا أكثر من ٣٠ شهيداً كانت طائرات الأباتشى تمشط الطريق أمام المتمردين وكانت ١١ دبابة تقصف القرية طوال الليل والمتمردون من مناطق الجبل جيران الصيعان الذين رفض الصيعان مهاجمتهم وضربهم فى البداية بحجة أن الرسول أوصى عل ياالجار.

وتم سرقة المنازل وحرقها وقتلوا بالرصاص مجموعة من ابلى الموجودة بالمنطقة وسرقوا الكثير منها وكل ما هو موجود بالمزرعة سيارة المياه للابل وسيارة صحراوية وحتى آبار المزرعة سرقوا مضخاتها واتخذوا من بيتى سجنا للشرفاء بعد أن سرقوا كل أثاثه وأخيراً خلعوا أبوابه ونوافذه.

ولقد بحثوا كثيرا عن سيارة العلف وقالوا أنها مملوءة بالنقود وأشيع الخبر فى المنطقة أننى أحضرت سيارة مملوءة بالنقود لاخفيها فى المزرعة لله ما اتفه العقول.

وارتحل الناس إلى الجميل واغلب السيارات المملوءة بالبشر تجر بعضها بعضا بالحبال لعدم وجود البنزين حتى أن ابنى محمد ذهب إلى الجميل ليحضر برميل بنزين لسيارة عمه التى وقفت فى الطريق.

رجع محمد وقد جلب البنزين التى سكبها فى السيارة فمشت قليلاً ثم وقفت لقد كان البنزين مغشوشاً بالماء وهكذا هم تجار الحروب يثرون على حساب أرواح شعوبهم.

ربط السيارة فى سيارته وأوصل العائلة إلى الجميل الذى كانت بواباته من النوائل يسلمون السلاح من الداخلين للمنطقة وتكدس الناس تحت الأشجار وعند المعارف والأقرباء.

وعند الصباح اتصل بى العقيد القذافى يسأل عن سير المعركة ويستفسر عن أحداثها فأخبرته بما أعلم وكان هذا الاتصال يوم ١٨ أغسطس ٢٠١١ الموافق ١٨ رمضان وكان آخر اتصال بينى وبين العقيد القذافى وكذلك انقطعت الأخبار بينى وبين ابنى محمد بعد المعركة.

مركز دراسات وأبحاث شمال إفريقيا

بأمر من العقيد أصدر البغدادى المحمودى قرارا من اللجنة الشعبية العامة بتكليفى برئاسة لجنة مهمتها الاهتمام بالليبين المهاجرين إلى تونس والعمل على عودتهم ومساعدتهم وتتبع رئاسة الوزراء. وشكل لجنة من مجموعة من الشباب بعضهم أعرفه وبعضهم لا أعرفه وطلب منى تقديم ميزانية للجنة التى ألحق بها زميلنا محمد راجح الرجل الذى كان مسئؤل الأمن فى مناطق الجميل وكلف بإدارة بعثة الحج وهو رجل طيب وخلوق.

اجتمعت مع اللجنة كان من ضمن اعضائها عبداهادى الجويح المكلف بشئون المهاجرين فى وزارة الخارجية.

والشاب أسعد زهيو عن روابط الشباب ومحمد بن زيتون ونائب مدير الأمن الخارجى والبعض من الأمن الداخلى ومهمتهم أيضاً الاتصال بقبائل الجنوب التونسى لدعم المجهود الليبى قدمنا ميزانية اللجنة وقدرناها ب(٦) ستة مليون دينار وقدمناها للبغدادى المحمودى الذى لم يصرف إلا ١٥٠ مائة وخمسين ألف دينار علمت فيما بعد أن المدعى العام يتحدث عن هذا المبلغ قائلا إن القشاط سيجلب به المرتزقة من السعودية واليمن والحزام الإفريقى.

كم هى مضحكة بعض المهازل.. وتم تأجير مكتب فى برج الفاتح لم نجتمع به أو نزاول عملنا لأن الأحداث تسارعت.. واتصلنا بالمهاجرين وأرسلنا بعض الأفراد لإقناعهم بالعودة. وتم تأجير حافلات لهم ورجع بعضهم وتم إسكانهم فى الشريط الساحلى.

وفى أحد الاجتماعات بهذه اللجنة بأمانة الخارجية كان عبدالهادى الجويح يتحدث ويصير على أن الشباب يجب أن يتقدموا الصفوف وأن الشيوخ يسدون الطريق أمامه وهو يتحدث من هاجس وزارة الخارجية.

ولما أكثر من هذا القول قلت له: (يا أخى يمكنك أن تبلغ العقيد القذافى بهذا فهو رجل كبير وهذه المعارك من أجله).

وهنا سكت الحويج ولم يعد يذكر هذا الاقتراح.

وقد كان الأستاذ عبدالعاطى العبيدى وزير الخارجية من أصدقائى الأعزاء وهو جده على باشا العبيدى أحد كبار المجاهدين ضد الطليان.

كنت التقى به ويخبرنى عن اتصالاته ومحاولاته الخروج من الأزمة.

وفى اللقاء الأخير قال لى إننى تعبت وأفكر فى الاستقالة فكلما نتقدم باقتراح لحل الأزمة يرفضه العقيد.

قلت له هذا لا يصح فى الظروف الراهنة علينا الصبر وأى انسحاب الآن يعتبر هروباً من المعركة.

استمع لى الأستاذ عبدالعاطى وكان مرهقا ومحبطا.

تم القبض عليه فيما بعد وأودعوه السجن وقد ألغت الخارجية مهمة شلقم فى هيئة الأمم ولكنه بعد خراب البصرة.

وتم تعيين على التريكى الذى لم تمنحه أمريكا تأشيرة دخول فذهب إلى مصر وأعلن انشقاقه فتم تعيين الدكتور إبراهيم بوخزام ولكن أمريكا رفضت منحه تأشيرة دخول لمزاولة عمله وهكذا كانت المؤامرة وتقييد أيادى الليبيين للعمل من أجل فكاك قيود المؤامرة.

الجحافل العسكرية

هى مجموعات من المدنيين المتطوعين رأى العقيد القذافى أن يكلف أفراد بعضهم مدنيين وبعضهم ضباط فى الجيش لتجميع مجموعات من المتطوعين هؤلاء ويشكلوا هيكلا عسكريا يسمى جحفل وهو اسم مجازى فالجحفل كما هو معروف فى الجيوش يضم كل أصناف السلاح والآليات.

المهم اسموها جحافل وكانت فى أغلبها تتكون من ١٠٠٠ ألف مقاتل إلى ٢٥٠٠ مقاتل فى سجلات الرواتب.

وكانت الروتب تدفع لقادة الجحافل حسب الأسماء التى يقدمونها لجحافلهم وجاءت ساعة الحسم وهو الدفاع عن الوطن من طيران الناتو والمتمردين والآلاف من المرتزقة الذين تكفلت قطر بدفع رواتبهم وتجنيدهم من الدول المجاورة وغير المجاورة.

هنا وجب تجهيز الجميع وإعلان حالة الطوارئ والنفير وتجهيز كل المقاتلين للحرب. إلا أن بعض قادة الجحافل فروا من مواقعهم وأعلنوا انشقاقهم هكذا فعل قائد جحفل ترهونه جمعه المعرفى وهو ضابط جيش اهتم به القذافى كثيرا وميزه على أهل ترهونه.

كما فعل مثله قائد جحفل زواره فتحى بوالشواشى الذي فر للخارج وأعلن انشقاقه بعد أن فتح مخازن الأسلحة المخصصة للجحفل وأعطاها للمتمردين فى زواره.

أما بقية الجحافل فبعضها لم يجدوا به إلا ٢٨ ثمانية وعشرين شخصاً باستثناء

جحفل بنى وليد الذى قاتل واستشهد آمره فى معارك البريقة وهو حسين جبران رحمه الله ومع ذلك لم يكن بالعدد المسجل. لقد كشفت الحرب الكثير من نقاط الضعف كان الزمن يخفيها. كما كشفت معادن الرجال وأوضحت ضعاف النفوس والخونة والجبناء والخائرين. كما أوضحت الرجال الرجال الذين دافعوا عن الوطن ومنهم من استشهد ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. كما أن كتائب المقاومة الشعبية لم تكن منتظمة ولم يلتحق أكثر منتسبيها بكتائبهم. والتحق المتطوعون بالجيش بالآلاف وقد اربكوا الجيش النظامى لعدم انضباطهم فى المعارك. وقد قطع الناتو الاتصالات السلكية واللاسلكية على الجيش وكانوا يتصلون بالمقاتلين فى دبابتهم وأجهزتهم ويطلبون منهم التسليم أو يطلبون منهم أوامر تشويش على نسقهم العسكرى وقد أخبرنى أحد المتعاونين مع الناتو بأنهم أمروهم بأن يضعوا الصليب على سقف سياراتهم ليميزهم العدو ولا تضربهم طائراته.

كما أنشأوا لهم محطة لاسلكية خاصة بهم فى نالوت تمكنهم من الاتصال بوحداتهم.

الفصل الثالث

سقوط طرابلس.. والهجرة

٢٠ أغسطس ٢٠١١

سقوط طرابلس

عند مساء يوم ٢٠ أغسطس ٢٠١١ ليلاً وبعد إفطار رمضان كانت معى مجموعة من الشباب أولادى وزقربائى فوق سطح المنزل الذى أجرته فى سيدى عبدالجليل كانت الإضاءة تنعكس على الشارع ونحن فى الظلام ودخلت ارتال من السيارات المسلحة إلى القرية قادمة من جنزور باتجاه المدينة طرابلس.

كنا مسلحين ببنادق ولم نطلق النار لأن القوة غير متكافئة فهم يسيرون بمدافع ورشاشات وصواريخ آر بى جى وصواريخ جراد.

مرت الارتال ولم تطلق النار ولم يعترضها أحد.

كانت هناك خيانة لم نطلع عليها إلا فيما بعد. فلقد كان اللواء البرانى شكال قائد كتائب الأمن المكلفة بحراسة القيادة وحراسة طرابلس على تواطؤ مع المتمردين.

وتحدث بإسهاب فيما بعد عن دوره فى المؤامرة وقام بتسريح جنود كتيبة محمد المقريف الأمنية وعددهم ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف جندى وضابط ومنحهم إجازات وهم المكلفين بحماية طرابلس.

الجميع لم يتوقع سقوط طرابلس بهذه السهولة باستثناء المتمردين الذين يعرفون موقف حليفهم البرانى ولهذا تقدموا بكل طمأنينة.

وكان يساعدهم حسب ما علمت فيما بعد ١٢٥٠٠ اثنى عشر ألف وخمسمائة ضابط وجندى من دول الناتو ومن الدول المتحالفة معها حتى من قطر والإمارات وتركيا والأردن.

واستمر الأحرار من المواطنين يقاومون فى بوسليم والهضبة الخضراء.

عند الصباح كانت الدنيا هادئة فى مناطق جنوب وغرب طرابلس رأت العائلة أن ترجع إلى المنزل وذهبت أنا إلى المكتب كانت الطريق خالية من المارة.

اتصلت بأحمد رمضان أسأله فى بعض الشئون. رد على وقد أخبرنى اللواء فتحى ناجى أحد ضباط القلم فيما بعد عندما التقيت به فى مصر بعد أربع سنوات قائلاً لى (لقد كان اتصالك بالقيادة آخر اتصال يصلنى من أحد).

كما اتصلت بالأستاذ على الحسناوى وزير الرقابة الذى اتصلت به ليلة البارحة وعلمت أنه محاصر من المتمردين.

سألت على الحسناوى فابلغنى بأن الجيران منعوهم من دخول المنزل واتصلت بالدكتور محمد بوعجيله أمين المواصلات وكان ببيته ونصحنى بالبقاء بالبيت أفضل رجعت إلى البيت بعد منتصف النهار وهى آخر مرة أزور المكتب وقد غاب ذلك اليوم الموظفون باستثناء السائق محمد التبو وهو رجل حر حدثت ضده مواقف فى بلدته بالرحيبات واحرقوا منزله وانتقل إلى المدينة واستمر معى فى المكتب إلى النهاية بل وبقى بعدى بالمكتب.

كانت الأسرة فى المنزل (بالسراج) تعد طعام الافطار وكانت سمعة القادمين الجدد سيئة لا يحترمون كبيراً ولا صغيراً ولا لهم دينا ولا ملة ولا أخلاق ينتهكون الأعراض والحرمات وينهبون كل شيء.

عند رجوعى للبيت قالت لى ابنتى.. يا أبى إن اخوتى قالوا لو هاجمنا المتمردون سنقوم أول شيء بقتل البنات مخافة العار.. كيف يا أبى يقتلوننا؟

اجبتها لا لا يمكن أن يصل لكم أحد بسوء ما دمت حياً اطمئنى.

إنه موقف مؤلم الأولاد يريدون خوض معركة ضد المتمردين ليموتوا معاً ولن يتركوا إخواتهم يعبث بهن العابثون.. وأنا محير بين أن أخوض بهم معركة خاسرة غير متكافئة أو احتفظ بهم إلى معركة قادمة نحن نخطط لها ونحدد مكانها وزمانها.

لقد خاض هلال الجرم بأسرته معركة فى بنغازى ودافع عن حريمه وكانت بناته يلقمن له البنادق وقتل عدة أفراد من المهاجمين وقتل شهيداً عليه رحمة الله وكذلك

فعل مؤيد الواسع الذى قاتل وحيداً إلى أن استشهد فى منزله.

إلا أننى كنت أزن الأشياء بالعقل والمستقبل يحتاج للرجال لتحرير ليبيا.

كانت المساجد تضج بالتكبير كأننا فى أيام الحج بعرفة.

جاءنى ابنى زهير ليبلغنى بأن الجيران ابلغوه بأن هناك مجموعة من المسلحين جاءوا يسألوا عن واالدك.

كان جيرانى من جادو يكبرون للناتو وجرفوا فيها بعد مزرعتى ليقتسموها انهم جيران سوء.

كنت أقلب الأمور على جنباتها ولم اتحسس طعم الإفطار ولم أشارك الأسرة فى القرار يجب أن نخرج من البيت.. هكذا قررت ولكن إلى أين؟

كان لصهرى مجموعة من الأقرباء فى مزرعة قريبة من مزرعتنا رأى أن نذهب إليهم ونبيت عندهم بقية الليلة ونفكر عند الصباح.

ذهب يستطلع الطريق ورجع قائلا إن الطريق شبه آمنة هناك بوابة أو اثنتين ما إن ترفع لهم يدك حتى يفسحوا لك الطريق أو نضرب لهم منبه السيارة فيظنونك منهم.

شحنت الأسرة فى عدة سيارات صغيرة .لأن السيارات الكبيرة ملفتة للنظر وتركت السيارات الكبيرة الكريزر وجيب فى البيت و ثلاث سيارات للمكتب جديدة وخزان مياه محمول والبيت بكل أثاثه والمكتبة بكل كنوزها وخيمة جميلة للضيوف.

خرجنا ليلا ومررنا بالبوابات التى يحرسها مجموعة من الشباب الملتحى يطلقون النار فى الهواء والمساجد تضج بالتكبير لقد وضعوا بها مسجلات زودتهم بها تركيا.

شغلنا منبه السيارات وظن الشباب أننا نحييه وأننا معهم فافسحوا لنا المجال.

وصلنا إلى بيت أقرباء صهرى فى مزرعته انزعج الرجل وخاف وكان متضايقا من وجودنا فى بيته وكذلك نساؤه.

كانت الساعة بعد منتصف الليل لم ننم ولم نذق السحور بالرغم من أن الرجل - بارك الله فيه - أعد سحوراً متواضعاً من المكرونة.

ماذا نفعل؟.. وأين نتجه؟

وكيف نحمى النساء من هؤلاء الوحوش لقد توقعت أن العقيد القذافى له خطة للحرب الشعبية (حرب العصابات) وسبق وأن اقترحتها عليه وقد يكون قد خطط لها حتى بدون اقتراحى.

علينا الذهاب إلى الجنوب مروراً ببنى وليد هكذا قررت.. وعند الصباح أرسلت بعض الشباب الذين كانوا معى من أقربائى لاستطلاع الطريق إلى بنى وليد.

رجعوا ليخبروا أن الطريق سالكة ويحتلها الجيش إلى ما بعد مطار طرابلس.

تركنا سيارة كريزر صالون عند مضيفنا لأنها تلفت النظر علمت فيها بعد بأنه باعها وحشرت العائلات فى ست سيارات صغيرة وركب مجموعة من الشباب فى سيارة كريزر صالون يستطلعوا أمامنا الطريق.

خرجنا من طرابلس باتجاه سوانى بن يادم لننعرج من على الجسر إلى المطار ومنه إلى طريق ترهونه يوم ٢٢/ ٨/ ٢٠١١ إلا أنه عندما وصلنا إلى فوق جسر سوانى بن يادم وجدنا اشتباكا بين المتمردين والجيش وقد سيطر المتمردون على أعلى الجسر.

وجعلوا فيه بوابة مقفولة بالحجارة والإطارات كان الرصاص ينهمر من الجانبين قفز أحد الشباب وأزاح الإطارات وسرنا بسرعة ولم نتوجه إلى جهة المطار لأن الرصاص في الطريق أكثر كثافة مع أن إحد السيارات توغلت بين المتحاربين.

سرنا بسرعة متوجهين نحو العزيزية ولحقت بابنى سيف لانبهه بأن أمامنا المتمردون وهم يتدفقون بسياراتهم المسلحة.. علينا أن ندخل أى طريق متوجه للشرق باتجاه طريق ترهونه.

وجدنا طريقا زراعياً متجها للشرق سرنا معه وفى كل لحظة نتوقع أن نجد

المتمردين يحتلونه أو أن الطريق ينتهى دون الوصول إلى طريق ترهوته. كانت أيادينا على الزناد وأى هجوم سينهينا.

وانفرجت أساريرنا عندما وصلنا إلى طريق ترهوته ووجدنا مجموعة من الجنود تحمل الراية الخضراء يتمركزون فى الموقع.

حيينا الجنود ورفعنا لهم أيدينا علامة التشجيع وجاوبونا برفع أيديهم واتجهنا إلى ترهوتة.

كانت الطريق شبه خالية قليلا ما تعترضنا سيارة فى الاتجاه المعاكس.

لقد خرجنا من طرابلس ولا نعلم كيف تكون العودة لها ولا متى.

كانت أفكارى مشغولة على محمد الذى انقطعت أخباره أما زيد أصغر الأولاد ١٤ سنة كان يقود سيارتى ومعى أمه وبعض إخواته لم يتزحزح ولم يرتبك عندما دخلنا تقاطع النيران فوق جسر سوانى بن يادم.

أما البيت فكنت أتوقع أن يحتلوه ويحتفظوا بالمكتبة أما الأثاث والسيارات فالعوض على الله فيها.

وقد نصحنى ابنى سيف قبل ذلك بحمل السيارات للجنوب وكل ما نخشى عليه إلا أننى لم أوافقه لأننى لم أكن اتوقع سقوط طرابلس بهذه السهولة.

كما طلب منى ابنى سعيد أن يحمل العائلات إلى مصر ويشترى لهم شقة هناك ويبعدهم عن الخطر فلم أوافق قائلا له إن عائلاتنا ليست أهم من العائلات الليبية سنبقى هنا ومصيرنا مصير الليبيين.

لقد تخلفت سيارة صهرى حامد التى تحمل أسرته وقد دخل باتجاه نيران الجيش من تحت الجسر كنا مشغولين عنه.

أشرفنا على بنى وليد وعند النصب التذكارى لمعركة (وادى دينار) حيث تثبت صورة كبيرة لعبدالنبى بالخبر على النصب وقفنا نجمع بعضنا ونتفقد السيارات

والسيارة التى دخلت مرمى النيران فى سوانى بن يادم.

تجمع السيارات وحمدنا الله على سلامة الجميع ورصدتنا بوابة بنى وليد فارسلت سيارة للشرطة لتقودنا إلى البوابة.

مشينا مع الشرطة وفى البوابة أمروا بتفتيشنا ولما نزلت من السيارة عرفنى أحد الضباط إذ أننى كنت أقدم برنامجا فى التليفزيون عن القبائل وأحرضها عن القتال ضد الناتو فسلم علي. وأمرهم بعدم تفتيشنا.

فطلبت منه أن يوضح لنا الطريق التى تحمل إلى منزل ناجى ريش البعباع وهو ووالده من أصدقائى منذ زمن.

فتركوا تفتيشنا ولم يفتشونا وسار أحدهم بسيارته أمامنا حتى أوصلنا إلى منزل ناجى ريش.

ناجى هذا هو ابن الشاعر ريش البعباع ربطتنى به علاقة صداقة وكنت أزوره فى بنى وليد كما يزورنى فى طرابلس وبدر ورافقنى فى رحلات الصيد إلى الحمادة الحمراء رفقة المرحوم يونس بالخبر ومسعود مرسال.

كما أن ناجى كانت علاقتى به جيدة. حتى عندما خرجت من مكتب شئون الصحراء غاضبا بدون سيارة أرسل لى ناجى ٦٠٠٠ ستة آلاف دينار اشتريت بها سيارة وارجعت له المبلغ مشكورا بعد عدة سنوات.

كما كان كريما مع كل من أرسله إليه لمساعدته فى بنى وليد.

استقبلنا بحرارة وابلغته أننا نحتاج إلى البنزين ونواصل سيرنا إلى براك.

قال ناجى لا داعى لبراك فابقوا معنا (اللى بينا بيكم) وحلف باليمين أن ننزل من السيارات.

دخلت العائلة والبنات عند النساء ودخلت أنا والأولاد إلى مربوعة ناجى التى وجدت بها أكثر من ثلاثين شخصا بعضهم عرفته وبعضهم لم أعرفه.

فلقد غيرت الحرب والمأساة سحنة الرجال إذ وجدت عبدالله منصور ذلك الشاب الأنيق الباسم دائماً والمتفائل دائما ملتحى غيرت اللحية ملامحه وبعض الذين أعرفهم. وعند الفطور حضر معنا المرحوم اللواء يوسف بومهاره آمر معسكر بنى وليد والذى طلب منا زيارة المعسكر تلك الليلة.

افسح ناجى ريش منزل أحد أبنائه لإقامتنا. كانت بنى وليد تعانى من نقص كل شىء. الكهرباء مقطوع، والغاز لا يوجد، الناس تطبخ طعامها على الحطب.

بعد الفطور اخذنى ناجى إلى المعسكر حيث استقبلنا اللواء يوسف بومهارة على ضوء شمعة. كان الظلام حالكا فنحن فى آخر الشهر والهلال يخرج قبل الفجر بقليل.

والمعسكر مملوء بالبشر الذى يستفسر والذى يطلب التسليح والذى يطلب الّذخيرة والذى جاء ليعرف ماذا يجرى.

أخرج لنا اللواء يوسف طاولة صغيرة وعدة كراسى فى ساحة المعسكر ويرجع كل مرة إلى مكتبه المضاء بشمعة. وفى ذلك الظلام سلم على مجموعة كبيرة من الناس واغلبهم جنود وضباط عرفت منهم ضابط يدعى المحتوت من حرس القائد وقيل أن الهنشيرى رحمه الله سلم على هو الآخر ولكننى لم أميزه فى الظلام.

جلس بجانبى المحتوت وتحدثنا. غير أننى لم أسأله عن القائد وتبين أن مجموعة الرتل لاحقة بالعقيد فى سرت.

وأن العائلة مرت من بنى وليد باتجاه غات بعد اتصالات مع الرئيس بوتفليقه لاستقبالها.

■■■

رجعنا من المعسكر. كانت الناس تموج هائمة لا تعرف السبيل.

فى اليوم الثانى بعثت الأولاد إلى السوق ليشتروا لنا طعاما وما يلزم للبيت وفتح اللواء بومهارة للمواطنين مخازن الأسلحة ليتسلحوا ويأخذوا الذخائر.

كان الوقت عصرا فهاجم الناتو المعسكر وهو القريب من السوق واشتعلت النيران فى المخازن وصارت التفجيرات تدوى فى المنطقة والدخان يتصاعد.

قتل فى الهجوم أكثر من ١٥ خمسة عشر مواطنا كانوا يتزودون بالسلاح من المخازن ورجع الأولاد الذين حمدنا الله على سلامتهم.

ولم يجدوا شيئا يشترونه فالمواد الغذائية شبه معدومة ويكفى أن سيارة جاءت بكمية من البصل تبيع الكيلو بـ (٣٥) ديناراً أما البنزين فكان (٢٠) لتراً اشتريناها بـ (١٥٠) مائة وخمسين دينارا ولما تكاثر المهاجرون إلى بنى وليد وصلت إلى ١٠٠٠ ألف دينار.

وأرسلت صهرى حامد الشيبانى إلى طرابلس ليرى ماذا حدث للبيت والسيارات وعند المغرب في اليوم الثانى جاءنا ليخبر أن البيت سرق وأن الخيمة مزقوها والسيارات أخذوها.

وجاء معه ابنى محمد وكانت فرحتنا به كبيرة فلقد انسحب مع المنسحبين من بدر وشارك فى معركة العجيلات.

ولما توجه إلى طرابلس أوقفته بوابة للمتمردين وأخذوا سيارته وسيارات كل من معه وبقيت العائلات فى الطريق.

حمدنا الله على سلامته وفرحت به أمه وأخوته وأحسسنا بأننا تجمعت العآئلة والمال كما يقولون مخلوف.

وكان ابن ناجى المدعو عز الدين وهو شاعر ويتولى إدارة إذاعة بنى وليد المحلية.

واستمعنا إليه ينشر خبر مقتل خميس القذافى ولما استطلعنا الخبر قيل إن خميس كان يسير فى رتل من مقاتليه باتجاه بنى وليد فتعرض لكمين فى منطقة (وشتاته) بين بنى وليد وترهونه وأصيبت سيارته بصاروخ (آر بى جى) احترقت السيارة وقتل هو وابن عبدالله السنوسى المسمى محمد.

طلبت من عز الدين أن لا يشيع الخبر إذ لا داعى لإحباط معنويات الجنود فخميس كان مثال العسكرى المقدم والمنضبط كان ذلك فى ليلة القدر.

وفى الليلة التى تليها جاءنى عز الدين يطلب منى مرافقته إلى حيث يقيم سيف الإسلام القذافى. ذهبت معه إلى منزل من منازل أهالى ورفله الذى رحب بى صاحبه إيما ترحيب وادخلنى لأجد فى المربوعة مجموعة من المواطنين مجتمعين مع سيف الإسلام عرفت منهم على الأحول منسق القبائل أثناء الأزمة والذى قاد اجتماعها فى طرابلس والتهامى خالد مدير الأمن الداخلى واللواء أحمد البقار توفى أخيراً فى معركة بنى وليد عليه رحمه الله واللواء يوسف بومهارة آمر معسكر بنى وليد وعدة أشخاص آخرين عزيت سيف فى أخيه ووجدته يتحدث عن كيفية الدفن غداً فاقترحت عليه عدم إشهار دفنه فيجب أن يدفن بسرية تامة حتى لا يشاع عند جنوده حقيقة موته.

وكان سيف يخرج ويعود ولا يستقر فى مكانه. قال لى على الأحول إننا محرجين مع هذا الولد فلو قتل فى بنى وليد ستصبح فضيحة لنا ونتمنى أن يخرج من بنى وليد.

وفعلا قد خرج بعدها سيف الإسلام من بنى وليد وبقى فى ضواحيه حيث هاجمهم الناتو واستشهد ٢٥ خمسة وعشرين من رفاقه منهم ابن صديقنا ميلاد الفقهى وجرح سيف الإسلام حيث قطعت أصابعه.

دخل سيف الإسلام إلى المربوعة بعد أن كان يتحدث مع أحد الأشخاص خارجها وطلب منى تحريك الصيعان للقتال.

اجبته أن بينى وبينهم الآن غريان والزنتان وهم أعداء يسيطرون على الجبل وهم يحتاجون إلى السلاح والذخيرة وحتى الوقود للسيارات.

وقلت لسيف هل عندكم مال ازودهم به أو وقود للسيارات أو أسلحة ندعمهم بها كنت أظن أن لكم خطة قتالية نشتغل من خلالها وتتحرك فى حرب عصابات.

خرج سيف الإسلام ثم عاد إلينا وجلس وهو يقول المفروض أن نغير هؤلاء

الضباط الكبار فى السن يوسف بومهارة وأحمد البقار ونستبدلهم بالشباب هنا قلت له ياأخى هذه افكارك التى أوصلتنا إلى هذه المرحلة تقيل ضباط وقفوا مع والدك إلى الآن لكبر سنهم وتكافئهم بهذا. إن أفكارك وشبابك هى التى أوقعتنا فى هذا المشكل.

ووقفت دون أن أتناول السحور الذى أحضره صاحب البيت.

كنت فى أشد الغضب لأننى صدمت إذ لا توجد أى خطة للدفاع عن الوطن.

كان سيف الإسلام يسمر عينيه فى وجهى وأنا أقف وأقول له أنكم تمخضون فى الماء.. وخرجت ولم ألتق به بعد ذلك. وقد تم دفن خميس رحمه الله فى شبه سرية فى بنى وليد صباح اليوم الثانى وبعد خروج سيف الإسلام من بنى وليد ومهاجمة الناتو له اتخذ من أحد قبائل الحطمان خبيرا له فى الصحراء ليوصله إلى حدود الجزائر أو النيجر ولكن الخبير كان خائنا فاتفق مع الزنتان وأوصله لهم ليلا حيث قبضوا عليه وأودعوه السجن عندهم حيث لا يزال حتى الآن ٢٠١٥.

رجعت إلى المنزل الذى تقيم به الأسرة فى آخر الليل وكلفت ابنى سعيد وصهرى حامد باستطلاع طريق الشويرف فلقد قررت السفر إلى الشاطئ بعد أن يئست من ايجاد خطة للدفاع عن الوطن فى بنى وليد فقد أجد بريق آمل فى الشاطئ.

فى الليلة الثانية هاجم الناتو مخازن السلاح فى بنى وليد وتفجرت الصواريخ فى كل اتجاه وتساقطت على البيوت وسقط بعضها بالقرب من البيت الذى نسكنه وتفجر مخزن ذخيرة فى مدخل بنى وليد من جهة طرابلس واستمرت التفجيرات إلى ساعة متأخرة من الليل وأصبحت السماء مضاءة كأنها الألعاب النارية وترى أضواء السيارات تتحرك جيئة وذهابا تستطلع الأمر أو تحمل الجرحى.

خرجنا من البيت وجلسنا فى العراء مخافة أن يصيب البيت أحد الصواريخ فيتهدم علينا.

استمرت الفوضى والتفجيرات إلى ساعة متأخرة من الليل.

عند الصباح أصبحت المدينة خالية لأن الناس سهروا وأصبحوا نياما.

وفى المساء رجع سعيد وحامد يرافقهم شاب مقرحى صديق ابنى سيف أصر على أن يرافقنا إلى الشويرف حيث يدعى على حسين.

لم أبلغ ناجى باننى قررت السفر إلى الشاطئ وعند الصباح الباكر من أول أيام عيد الفطر امتطينا سياراتنا وتركت له رسالة فى البيت أشكره فيها على حسن ضيافته وكرمه واستودعه الله.

لقد مرض بعدى ناجى وحمله ابنه عز الدين إلى تونس ثم إلى ألمانيا وتوفى عليه رحمة الله وبوفاته فقدت صديقاً صادقاً فى زمن قل فيه الوفاء.

■■■

الطريق المعبد يتجه من بنى وليد إلى غريان أو إلى مزده. وفى كلاهما يسيطر المتمردون. واختار الأولاد طريق النهر الذى يقع شرقى بنى وليد وسبق لابنى سيف أن سار معها عدة مرات.

خرجنا من بنى وليد وتوجهنا إلى طريق النهر الذى ما إن وصلناه فى منطقة بها غابة من شجر الطلح فى أعالى وادى بى وجدنا كتيبة عسكرية مرابطة هناك بسياراتها واسلحتها أنه الموقف الحرج. ترى يتبعون من..؟ قد يكونوا من المتمردين سبقونا على الطريق.

إن أى معركة نخوضها معهم خاسرة لأننا حوالى عشرة أشخاص نملك بنادق كلاشنكوف وهم كتيبة مدججة بالسلاح.

كانت هذه الاختيارات تدور فى مخيلتى ونحن نسير باتجاههم.

وما إن وصلناهم حتى انفرجت أساريرنا إنهم كتيبة من الجيش حيونا وحييناهم ما إن وصلنا إليهم حتى ركبوا سياراتهم وآلياتهم وتتبعونا.

إنه موقف حرج فقد يقصفنا الناتو لأننا فى رتل عسكرى مع سيارات مدنية قد

يظنها العدو رتل القذافى.

ومن الغريب نخفف السرعة ليتجاوزونا فيخففون سرعتهم معنا أو يتوقفوا فى الطريق ينتظروننا.

وفى إحدى وقفاتهم سألنى الضابط عن طريق قرزه فاجبته أى طريق تفرق إلى اليمين تتوجه إلى قرزه.

عندما كنا فى الظروف الآمنة نتباشر بهذه الغابات من الطلح نتجمع فى ظلالها ونوظب صيدنا ونطبخ طعامنا وشواءنا ونعد أكواب الشاى على جمر الحطب اللاهب.

واليوم نمر عليها خائفين نتلفت ونتوهم إن فى كل طلحة قناص أو مجموعة من الإرهابيين يترصدون بالمارة.

حلقت فوقنا طائرة قادمة من الطريق المعاكس بقيت انتظر صواريخها فى كل لحظة إلا أن الله سلم.

وقبل الشويرف بخمسين كيلو متر توقف الرتل العسكرى كما تخلفت قبله السيارة التى يقودها زهير ابنى وترافقه أمه وبعض أفراد الأسرة.

رجعت له إحدى السيارات التى وجدته وقد انفجر اطار السيارة فغيروها معه.

استمرينا فى السير حتى وصلنا إلى الشويرف وإلى منزل مضيفنا على بن حسين.

ولحق بنا زهير ومن معه.

سمعنا انفجارا وتصاعد الدخان لاشك أن الطائرة قصفت رتل العسكريين الذين خلفناهم.

■■■

استقبلتنا أسرة الرجل بكل حفاوة وصدفة وصل الكهرباء الذى كان منقطعاً عن القرية عدة أيام فتفاءلوا بمقدمنا.

جاءت للترحيب بنا مجموعة من رجال المقارحة واستفسرنا منهم عن الأحوال.

تبين أن الناس منقسمين كل يعمل حسب تفكيره هناك من يرفع علم المتمردين وهناك من لا يرفع أى علم.

وهناك من يصرف وقته فى الاستيلاء على مواقع الشركات التى تركتها وانصرفت.

ورأيت عند العشية أحدهم يجر خزان مياه يربطه بالحبال ويجره على الأرض يصدر أصواتا مزعجة وهو يصطدم بالأحجار.

لا يوجد بالشويرف أى خطة للدفاع أو منظومة مدافعه.

■■■

عند الصباح واصلنا السير إلى أبراك أخذنا الطريق المعبد المعتاد فالمتمردون لم يصلوا إلى هنا.

وصلنا بوابة البرطمة وهى بوابة عسكرية تشرف على مشروع زراعى جميل وعلى يمين الطريق تقع استراحة جميلة على مرتفع تشرف على المشروع.

استقبلنا الضابط المشرف على المشروع ببشاشة وعرض علينا الإقامة فى الاستراحة لقضاء القيلولة أو لعدة أيام.

شكرته على كرمه وكانت الاستراحة مغرية لو كانت الظروف عادية.

وواصلنا السير.

وصلنا إلى براك تلك الواحة الجميلة التى تغنى بها الشاعر والمجاهد محمد بن عامر المقرحى عندما هاجر إلى جنوب الجزائر من جور الطليان واستقر فى واحة (وارقله) التى يقول عنها.

مانكش كيف براك يا وارقله

هى تمرها تاليس وانتى دقله

إلا أن الموقف ينطبق عليه قول الشاعر الموريتانى حين يقول:

أمربع الأنس ذا أم تلك أوهامه

لا هو هو ولا الأيام أيامه

فالنخيل قد جف جريده وبقيت جذوعه مغروسه فى الأرض فالمياه التى كانت عل يوجه الأرض غارت بسبب مشروع النهر الصناعى فالآبار سحبت المياه وغارت وعطش النخيل ومات.

إن منظر النخيل يؤلم القلب.

سار بنا دليلنا باتجاه قرية (قيره) حيث يقيم المقارحة وتجاوزناها إلى مجموعة بيوت يقيم بها قبيلة (العزمه) وهى إحدى قبائل المقارحة والصيعان يقولون إن بوعزوم جد العزمه هو ابن سيدى محمد أبوصاع جد الصيعان فهم أخوتهم.

وبالرغم من ذلك فهناك الشاعر غيث العزومى والشاعر على بن الحاج تربطنى بهما علاقة ود وصداقة منذ عام ١٩٦٣ عندما كنت أقدم برنامج الأدب الشعبى فى الإذاعة الليبية وكان يقدم لى غيث وعلى بالحاج ونور الدين العزومى رحمه الله واخوه بلقاسم ليسجلوا قصائدهم.

استبقلنى الحاج غيث وأولاده فى منزلهم بالترحاب كما استقبلت السيدة زوجته وزوجات أبنائها زوجتى وأولادها بكل لطف وترحاب فجزاهم الله خيراً.

سألت عن الأحداث ماذا يجرى فى الجنوب؟ وهل هناك استعدادات للدفاع عن المنطقة؟.

وكانت الإجابة مخيبة للآمال.

فقالوا لى إن مسعود عبدالحفيظ وهو القائد العسكرى للمنطقة استدعى مشائخ القبائل وقال لهم إننى متفق مع الفرنسيين أن يبقى الجنوب تحت الحماية الفرنسية على أن ينضم إليه سرت كميناء على البحر وتتولى عائلة سيف النصر إدارته كما كانت أيام المملكة.

وهاجم الناتو بطيرانه مخازن الأسلحة فى سبها ومنزل عبدالله السنوسى فى قبره وقتل عدة أشخاص.

أخبرونى أن العقيد أرسل عبدالله السنوسى ومنصور ضو إلى مسعود يطلب منه الاستعداد لاستقبال العقيد فى الجنوب ومواصلة الكفاح.

فقال لهم أين هو العقيد؟ انه انتهى وعرض عليهم العرض الفرنسى فرجع منصور وعبدالله السنوسى للعقيد فى سرت.

عشرة أيام كاملة قضيتها فى الشاطئ أقلب أخماساً فى أسداس.

الثقة صارت معدومة من الجميع ولا تستطيع أن تفكر بصوت عالى ولا أن تشارك أحدا الرأى.. سألت عن اللواء على كنه فقيل لى إنه هاجر للنيجر. وسألت عن اللواء الريفى الشريف فقيل لى هو الآخر هاجر. سمعت بأن عبدالله السنوسى وصل إلى قيره فأرسلت ابنى سيف إليه لالتقى به ونفكر ما العمل؟.

إلا أنهم أجابوه بأن عبدالله غير موجود. وعلمت فيما بعد أنهم يشكون فى الرجل الذى جاء مع سيف فى أنه مع المتمردين. المواطنون هاجموا المشاريع ونهبوا كل شيء الإبل والأغنام والسيارات والمضخات والجرارات والدوائر الزراعية.

لا أحد ينهى أحد. مكاتب المشاريع نهبت الشركات النفطية نهب كل ما تملك فى المواقع من سيارات وبيوت متنقلة وأثاث وحتى أنابيب الضخ عطلوها. إنهم يفعلوها فى وطنهم كما يفعل الغزاة.

مجموعة التوارق الذين استقطبناهم من مالى والنيجر فى ثمانينات القرن الماضى وجاءوا زرافات ووحدانا مطرودين من الجفاف والاضطهاد فى بلدانهم استقبلناهم وادخلناهم فى البلاد ووفرنا العمل لمن يستطيع العمل والدراسة لمن يرغب فى الدراسة والتحقت مجموعات منهم بالقوات المسلحة.

كان يقود مجموعة منهم شاب يسمى محمد ناجم يحمل رتبة عقيد.

فما أن اشتدت المعارك حتى انسحب بمجموعته وبما بحوزتهم من أسلحة وذخائر وآليات وسيارات ووصلوا بها إلى مالى.

هناك انضم محد ناجم إلى مجموعات الإسلاميين فى شمال مالى الذين اعلنوا جمهورية أزواد فى شمال مالى وعينوا محمد ناجم وزيرا للدفاع الأمر الذى جعل فرنسا تتدخل وتحطم هذه الجبهة وهذه الجمهورية وتسيطر على شمال مالى بمباركة الجزائإ التى سمحت لطائرات فرنسا بالعبور للأجواء الجزائرية.

وعلمت فيما بعد من صديق صحراوى جاءنى من تمنراست بجنوب الجزائر عندما كنت بالجزائر وأخبرنى أن قطر استدعت فى عام ٢٠١٠ إياد غالى رئيس المجموعة الإسلامية وهو من الشباب الذين احتضنتهم ليبيا ودربتهم وفى قطر استقبله مسئولون من قطر وقدموه لضباط مخابرات فرنسية وطلبوا منه أن يقوم بارسال مجموعة من الشباب إلى غاث وأوبارى ويقوموا بمظاهرات تتدخل بسببها فرنسا فى الجنوب الليبى كما تتكفل فرنسا وقطر بدفع كميات من الأموال لهم.

ورجع إياد إلى ازواد وعرض على قيادات شمال مالى بان يرسل هو عشر سيارات معبأة بالشباب وطلب من هجى أحد قادة الشمال بتجهيز عشرة سيارات ويرسلونها إلى غات وأوبارى تنفيذا للمخطط الفرنسى القطرى وقال إنهم وعدوه بدفع مبلغ كبير من المال.

قال له هجى كم سيدفعون لنا..؟ ذكر له رقما لم يذكره لى الراوى.. فقال له هجى لقد صرف علينا القذافى أكثر من هذا بمئات المرات واستقبل عائلاتنا وشبابنا وطلابنا فهل نجازيه بهذا الجزاء.

واستطاع الهجى أن يفشل المشروع أوردت هذا ليعلم الغافلون أن مخطط ضرب ليبيا يعد له منذ عدة سنوات قبل ٢٠١١.

ولم يكن التوارق الماليين وحدهم فإن قبائل التبو التى تقيم فى جبال تيبستى وتتبع

حكومة تشاد زحفت نحو الشمال مؤيدة مجموعتها التى تعيش فى ليبيا واستطاعت أن تستولى على الويغ والقطرون ومرزق وتراغن وتصل إلى أطراف سبها.

كل هذا حدث فى مدة وجيزة اتضح لى عند وصولى إلي الجنوب وتبين لى أنه لا يوجد هناك أى استعدادات للدفاع عن الوطن وأن أغلب الشباب القادر على حمل السلاح اخبرنى العقيد على الشايب أحد المسئولين العسكريين فى الجنوب أنهم تم شحنهم للشمال للقتال فى محاور مصراته والبريقه وسرت.

وحتى الوحدات العسكرية لم يبق بها إلا كبار السن الغير قادرين على القتال.. أمام هذه الأوضاع قررت الهجرة التى لم تكن تخطر ببالى أبداً.. وحتى عندما اقترح على ابنى سعيد قبل عدة أشهر أن يحمل العائلة والأطفال إلى مصر ويشترى لهم شقة ليبتعد بهم عن الأحداث رفضت ذلك فنحن ككل الليبيين والعائلات الليبية لسنا أحسن منها.

ارسلت ابنى سيف يرافقه مضيفنا إبراهيم غيث العزومى وشخص ثالث خبير فى المنطقة وله علاقات بتوارق غات وخاصة المهربين منهم.

أرسلتهم ليكتشفوا لى الطريق.. فى اليوم الثانى لذهابهم اتصل بى سيف يطلب منى القدوم إلى غات اليوم لأن أوبارى قد يصلها المتمردون فى أى لحظة ويقطعون الطريق إلى غاث.

جهزت سيارة يقودها ابنى محمد وتوجهت إلى سبها حيث منزل صهرى حامد الشيبانى ليرافقنا.. وتركت الأسرة فى البيت الذى افضاه لنا على غيث ابن غيث العزومى لنسكنه وهو بيته الخاص فله الشكر والتقدير.

وصلت سبها التى تغيبت عنها عدة سنوات لقد توسعت وامتلأت ساحاتها بالمزارع والعمارات والفيلات جبل بن عريف الذى كان الشعراء يتغنون به صار واسطة المعمار وقد شاب اعلاه من التفجيرات فلقد كانت به مخازن للأسلحة والذخائر

قصفها الناتو فتفجرت وأصابت الصواريخ البيوت المجاورة وغير المجاورة وسقط عدة ضحايا.

كان صهرى يسكن مع والده فى مزرعة يكدح لزراعتها وقد انقطع الكهرباء فجفت المياه وذبلت الزراعة.

كان محمد الشيبانى وهذا هو اسمه نذر جميع أولاده للدفاع عن الوطن فقاتلوا فى كل الجبهات مع أنه فى العهد الجماهيرى سجن ظلماً وتم تعذيبه من قبل رجال الأمن فى سبها لأنه استضاف شخصا رافقه فى الطائرة وهو لا يعرفه وتبين أن الشخص من الإرهابيين.

المهم لم أنزل من السيارة ورافقنى حامد وواصلنا السير باتجاه غات.

كانت الطريق موحشة بالرغم من أنها تنحدر مع وادى الآجال حيث الخضرة والنخيل والبيوت.

كانت المشاريع موقوفة والعمارات التى تحت الإنجاز خالية تنتصب بجانبها الرافعات.. الجبل يحف الطريق من اليسار وجبال الرمال العالية تحف الوادى من اليمين هذا للمتجه غربا.

سمي وادى الآجال لأن قطعان بقر الوحش كانت توجد به وتسمى (آجال) ظنوا ان اسمه من الأجل الموت فتم تغييره إلى (وادى الأمل والحياة) تقع الكثير من القرى فى الوادى واهمها (جرمه) تلك المدينة التى اسسها (الجرمنتيون) وانشأوا بها حضارة وقطعوا الصحراء الكبرى باتجاه النيجر ولازالت قبيلة (زرما) تقود النيجر حتى الآن وهى تحريف لاسم (جرما).

العوينــات

مررنا بقرية العوينات وهى قرية هادئة فى وسط الصحراء تقع فى وسطها قلعة بناها الإيطاليون هى اليوم مركز لشرطة العوينات.

يسكن هذه القرية التوارق وبعض الأهالى. واشتهرت العوينات بشجرتها الغريبة المباركة. وهى شجرة غير معروفة ولا مثيل لها من أشجار المنقطة، ضخمة الجذوع يقول السكان إن أى شخص يكسر منها غصنا يصاب بأذى كأن تكسر رجله أو يده وتورق فى الشتاء بعكس الشجر. ويذكرون لك أسماء الذين اعتدوا على الشجرة وكسروا منها فأصيبوا بكسور كأن تنقلب بهم سياراتهم أو يسقطون من عل أو يصابون بمرض.

ولهذا تجنب الجميع المساس بهذه الشجرة التى مررت بجانبها فى رحلتى هذه وهى لا تزال شامخة كان فروعها الضخمة تحتضن العوينات ولا أدرى إن كانت يد العبث قد طالتها أخيراً أم لا.

كانت تتجاذبنى الأفكار. ماذا يخبئ القدر لى فى مستقبله المجهول؟ وماذا يخبئ القدر للأسرة التى تركتها والأطفال ورائى؟.

أوقفتنا بوابة يقيمها التبو بجانب أوبارى. التبو ليس هنا موقعهم فهم فى جهة القطرون وربيانه أما أوبارى فلقد كانت بها أربع أسر زمن المملكة فقط يرأسهم والد كوكنى وداى الذى أمره الملك إدريس بالبقاء باوبارى عندما جاء لاجئا فى بداية الستينيات من القرن الماضى ولحقت به أربع عائلات بقيت باوبارى.

قدمنا أوراقنا لأحد الأفراد المسلحين وسمح لنا بالمرور بدون تعب وواصلنا السير.

وبعد أوبارى لاحت لنا غابة الطلح التى كانت متنزها لأهل أوبارى خاصة عندما يسيل الوادى الذى يرويها.. أشجار الطلح الشبيهة بأشجار الأرز فى لبنان لها من العمر مئات السنين لها ظل وارف يؤوى إليها المتنزهون والمسافرون.

لو يحكى الطلح لروى لنا مئات القصص التاريخية. ولذكر لنا آلاف الرجال الذين استظلوا بظله ذات يوم. ولروى لنا آلاف الحكايات التى حكوها وهم فى ظلاله.. والمواقف التى شهدها هذا الطلح فى سنوات الخير وفى سنوات الشر وفى الدول المتعاقبة التى يسود فيها الأمن والتى يختل فيها.

وكم شهد مراحيل المجاهدين المهاجرين الذين يتبعهم الطليان ويبطش بهم.

لقد جئت هذه الغابة عام ١٩٧٩ مع مجموعة من الأصدقاء وبتنا بها وكان الشعراء يحيون لنا تلك الليلة المقمرة والنار تستعر إلى الفجر.

كانت بقايا كوانين النار تحت كل طلحة وكانت أرجل الغزلان تتناثر حول الطلح تنبى على أن الصيادين مروا من هنا.

واليوم ها أنا أمر وحيدا اتلفت مخافة العدو الذى كان أغلبه من رجال أعرفهم سابقا وأبناء أصدقاء لى.

لقد تبين أن العداوة هى الأفعال وليست الأجناس وأن الإنسان يحمل فى نفسه عناصر الخير وعناصر الشر.

ولكم يحزننى أن عناصر الخير كانت محروسة بالأمن وهيبة الدولة ولما انفلتت انفلت الشر من أعماق الناس.

لقد كانت تعترضنا الشاحنات محملة بأثاث الشركات ودواليب وصالونات وكراسى وأشياء أخرى قد لا يحتاجها الذى أخذها إلا أن رغبة التملك طغت على الناهبين.

ظهر على يميننا مشروع (تهاله) المشروع الذى كنت ضمن فريق من العمل الذى خطط لإنشائه.. وكان يقود الفريق العقيد خليفة حنيش رحمه الله.. وذلك

لاستقرار التوارق البدو. لقد ازدهر المشروع حتى اصبح يصدر البقوليات والدلاع إلى طرابلس. وانشئت فيه مصانع للخشب بفضل مديره رئيس عرفاء يدعى (زكره).

وجاء مجموعة من وجهاء التوارق يشتكون من القائم على المشروع ويريدون ابعاده لأنه جعل به استراحات وأحواض سباحة.

حاولت إقناعهم بأن هذه الأشياء ستبقى لكم وهو سيرحل ولكنهم أصروا على تحويله.

واليوم أرى المشروع جافا لا أثر فيه للزراعة وهناك مجموعة من النوق تتجول فيه تلتهم ما تطول رقابها من أغصان الأشجار.

وإلى وراء المشروع يتمركز جبل الجنون أو كما يسمى (كاف الجنون) الذى تروى عنه عشرات القصص. أبطالها من الجنون وأن لا أحد يستطيع الصعود إليه فتمنعه الجنون. وقد زرته فى فريق عام ١٩٧٩ وصعدنا إلى حوالى ثلثه لأن أعلاه منحدر كالسور صعب المرتقى وكان وقتها الطريق بجانبه غير معبد وهو طريق للقوافل المتوجهة إلى غات وأحياناً إلى ما بعد غات اقدز فى النيجر أو تينبكتو فى مالى وكان من المخطط أن تعبد الطريق التى تم تعبيدها ويقام فندق صحراوى بجانب الجبل للمواطنين والسواح.

إلا أن الأحداث اجهضت مشاريع الخير.

غاث فى الأفق

استقبلنى ابنى سيف وجماعته بعد أن اجتزنا جبل الجنون.

كان جبل أكاكوس يحيط بنا من جهة الجنوب ذلك الجبل الذى يضم تاريخ ليبيا القديم من رسومات ونقوش نادرة.

قيل إن عاملا ليبيا كان يشتغل فى شركة للسياحة فاخرجوه من العمل. فغضب وقام بأخذ قنينة زواق وطمس بها الرسومات. عمل أرعن يدل على حس وطنى متدنى.. كما قام الأجانب عن طريق بعثاتهم التى يقولون أنها تبحث فى الاثار فكانوا يسرقون اللوحات وينسخونها بطرق تسىء للآثر.

دخلنا بوابة غات بعد أن اجتزنا المطار وخضعنا للتفتيش ونحن لازلنا داخل الوطن ودخلنا المدينة.

على يمين الداخل تقع قلعة غات الشهيرة تلك القلعة التى لم أعثر على تاريخ تشييدها وهى تقع على قطعة من جبل أكاكوس استخدمها الإيطاليون أيام احتلالهم للمنطقة واستخدمها الفرنسيون أيام احتلالهم للجنوب. وكبار السن يذكرون فى الليالى المعمرة الجنود الفرنسيين من جنوب تونس والجزائر يعزفون الناى فى هدأة الليل يبث شجونهم وأحزانهم وشكواهم من الغربة ومساهمتهم فى حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل فقدوا فيها الكثير من أصدقائهم وأحبابهم.

غات هذه المدينة العريقة آخر مرة زرتها عام ١٩٨١ ولى فيها أصدقاء وكان لنا فيها فرع لمكتب شئون الصحراء يديره النقيب الوافى الفقى مع مجموعة من توارق المنطقة وكانوا يستقبلون توارق مالى والنيجر المتسللين عبر الحدود والذين يقضى

عليهم العطش والجوع فى الطريق فيبحثون عنهم ويجمعونهم ويحولونهم إلى المخيمات المعدة لهم لتأهيلهم وتوزيعهم على المشروعات والحرف التى يجيدونها وعلي المدارس التى تناسب مستوياتهم.

غات هذه المدينة الصحراوية ذات التاريخ المجيد عندما كان سكان ما وراء الصحراء يتشوفون إلى غات لجلب أرزاقهم وملابسهم إنها إحدى عواصم الصحراء الكبرى.

دخلنا المدينة عشرات الفيلات الحديثة والمتاجر لم يعد للمدينة القديمة أى أثر ساقنا دليلنا إلى منزل أحد التوارق قال إنه يتعامل معه فى التهريب.

تناولنا عنده عشاء متواضعاً ونمنا فى بيته.

وعند الصباح بعد الفطور توجهنا إلى بوابة الحدود الجزائرية فى (تين الكم).

إن جميع التوارق فى الصحراء الكبرى أما يعرفوننى معرفة شخصية أو يعرفوننى بالسماع.

هذا التارقى الذى بتنا عنده أبدى استعداده أن ينقلنى إلى الجزائر حتى بدون المرور على البوابات. إنه خبير فى الطريق. إلا أننى شكرته وأبلغته أن نجرب. شققنا وسط غات ومررنا بقرية (البركت) وهى اصبحت متصلة بغات وقد احتلها الفرنسيون عام ١٩١٣ لمدة شهرين ثم انسحبوا بناء على اتفاق مع الطليان.

وبعد (البركت) قرية صغيرة تكاد أن تكون ملتصقة بها تسمى (الفيوت).

وبجانب الفيوت شاهدنا بقايا سيارتين شاحنتين محترقتين ولهما قصة.

إذ عندما قامت الثورة الجزائرية عام ١٩٥٤ ووقفت ليبيا شعبا وحكومة معها تدعمها كما دعمتها كل الشعوب العربية.

لم تمتد الثورة إلى الجنوب فى مناطق الصحراء وهنا قرر الفرنسيون إنشاء جمهورية باسم (جمهورية الصحراء) تضم جنوب الجزائر وشمال مالى والنيجر وحتى منطقة الصحراء فى موريتانيا والساقية الحمراء ووادى الذهب وغات من ليبيا وهنا اقترحت

الحكومة الليبية على قيادة الثورة الجزائرية بان ترسل كتيبة من الثوار ترافقها كتيبة من الجيش الليبى إلى غات حيث يتسلل الجزائريون إلى الصحراء الجزائرية ويقومون بعمليات عسكرية ضد فرنسا.

وهكذا تبنت المشروع كتيبة إدريس بقيادة العقيد نورى الصديق ويساعده الملازمان يوسف القزله والغمارى.

حيث تمركزت فى غات لحماية الجزائريين وكانت هناك شركات فرنسية فى الأراضى الجزائرية تأتى إلى غات لشراء لوازمها من التموين وهى متعودة على ذلك.

وجاءت شاحنتان يقودها جزائريان يرافقهما مهندس نفط فرنسى مدنى.

وبعد أن اشتروا احتياجاتهم خرجوا من غات ولحق بهم الثوار الجزائريون فأحرقوا الشاحنتين وقتلوا الفرنسى الذى وضعوا جثته فى إحدى حقاف الجبل المطل بدون التنسيق مع الجيش الليبى واحتجت فرنسا على ليبيا لأن العملية تمت فى الأراضى الليبية وهاجمت بالطيران قرية (إيسين) كما هاجمت الكتيبة الليبية وسقط عدة شهداء وأعلن الجيش الليبى فى مجلة الجيش أنهم أسقطوا طائرة فرنسية وكتب عنها محيى الدى عميور وزير الإعلام السابق للجزائر كلاما غير صحيح وادعى أن هناك معركة نشبت بين الفرنسيين والثوار وانتصر الثوار وأحرقوا الشاحنات.

ويقول عميور أنها فى الأراضى الجزائرية.

المهم مررنا على حطام الشاحنات ووصلنا إلى البوابة الليبية وهى ثلاثة أو أربعة بيوت متنقلة تغزوها الرمال.

وضع لنا التأشيرة أحد رجال الجوازات وواصلنا السير.

البوابة الجزائرية مبنى أنيق للجوازات والجمارك تجاوره استراحة للمسافرين.

وجدت مجموعات من الليبيين الفارين من الحرب لم أعرف منهم إلا الصحفى الدكتور شاكير والوزيرة هدى بن عامر التى أعلن المتمردون أنهم قبضوا عليها ذلك اليوم.

قدمت جوازى الدبلوماسى للجوازات وكان الضابط شاب نشط استقبلنى فى مكتبه وحدثته عن مساهمتى لمدة أربع سنوات فى لجان المناصرة للثورة الجزائرية.

وكان هو يتحرك ويرسل أوراقاً ويستقبل أوراق ومن ضمن ما أرسل صورة جواز سفرى ولم يأبه كثيراً بحديثى إذ أنه من مواليد الاستقلال فلا يعرف الكثير عن الثورة الجزائرية ولم تعد تعنيه كثيراً.

ثم أمرنى بالانتظار ليلتهى بغيرى.

خرجت من مكتب الجوازات وذهبت للاستراحة لأسلم على الوزيرة هدى وزوجها وأولادها وكذلك شاكير.

ثم رأيت شجرة طلح تبعد على الاستراحة بحوالى ٥٠٠ متر توجهنا إليها وجلسنا فى ظلها.

جاءت سيارة صحراوية يقودها تارقى يمكن عمله من حرس الحدود الجزائرية وسألنى بعجرفة لماذا تجلسون هنا؟

قلنا الاستراحة مشغولة وفضلنا الجلوس هنا.

قال: إن هذه أرض جزائرية!.

أجبناه نحن نستظل والأرض تبقى جزائرية.

اندفع بسيارته بقوة اثار الغبار الذى وصل إلى وجوهنا وانحدر إلى الوادى.

هذه الطلحة لها قصة هى الأخرى.

ففى بداية الحرب العالمية الثانية وكان الإيطاليون يتمركزون فى غات واعلنوا التعبئة العامة وأرجعوا الجنود المنفصلين من الخدمة إلى العمل وكان من بينهم ابن عم والدى محمد الشيبانى الصويعى والذى استقال من الجيش الإيطالى برتبة (شنباشى) قبل الحرب بسنوات طويلة وتفرغ للتجارة أرجعوه للجيش وكلفوه باحتلال هذا الموقع.

أخذ معه مجموعة من الجنود التوارق وهاجموا الموقع وقتلوا مجموعة من الجنود الفرنسيين وجرح ضابط الموقع الذى صعد إلى هذه الطلحة رافضا الاستسلام إلا لقائد المجموعة. فجاءه محمد الشيبانى وانزله من الطلحة وحمله إلى غات حيث تلقى العلاج وأحسن معاملته كأسير واستولوا على الموقع.

وانتصرت فرنسا وحلفاؤها فى الحرب ورحل الإيطاليون وقبض الفرنسيون على محمد الشيبانى وأودعوه السجن وقرروا إعدامه إلا أن ذلك الضابط الفرنسى الأسير حمى محمد الشيبانى من القتل وأمر بإخراجه من غات ومصادرة أملاكه، وارتحل محمد الشيبانى من غات بل من كل فزان حيث يسيطر الفرنسيون وأوصلوه محروسا إلى مزده الحد الفاصل بين فزان المحتلة من قبل فرنسا وطرابلس المحتلة من قبل الإنجليز.

وأرسل جدى صميده مجموعة من الإبل يقودها عمى خليفة وابن عمه بلقاسم بن عون لنقل محمد الشيبانى إلى الجوش حيث اختارته القبيلة شيخا لها.

وبقى محمد الشيبانى بالجوش إلى سنة ١٩٥٦ عندما خرجت فرنسا من فزان إذ عاد إلى سبها وقد حكى هذه القصة لى رحمه الله ومجموعة من القصص أيام العهد الإيطالى وما لاقاه الليبيون.

وهو جد صهرى حامد الشيبانى الذى يرافقنى الآن ولما حكيت له الحكاية قال إنه لم يسمعها من جده.

عند المساء اقتربنا من الاستراحة حيث تضج بالناس والسيارات والجند والشرطة وجلسنا بجانب سيارتنا وفرشنا حصيرا لا أدرى من أين احضره الشباب وتناولنا قليلا من الطعام الجاف.

وفى أول الليل جاءت حافلة لتنقل الذين تحصلوا على التأشيرة إذ أن الدخول بالسيارات ممنوع عند اخوتنا الجزائريين.

ركب الذين سيدخلون واتجهت بهم الحافلة إلى مدينة (جانت) وهى مقابلة لغات

وتبعد عنها بحوالى ١٥٠ مائة وخمسين كيلو متراً. ولقد كانت ضمن الأراضى الليبية وتتبع غات. واحتلها الفرنسيون عام ١٩٠٨ وأعادها الليبيون عام ١٩١٦ ولم يمكثوا بها طويلا إذ استطاع الفرنسيون ارجاعها من جديد. وجانت شهدت مؤتمر لرؤساء دول الصحراء بخصوص التوارق وثورتهم فى شمال مالى. وقد دعا القذافى لهذا المؤتمر ١٩٩١ إلا أن الرئيس المالى موسى تراورى لم ينصع لنصيحة الرؤساء وركب رأسه قائلاً: (سيقضى على هذه العصابات فى خلال ثلاثة أشهر إلا أن انقلاباً أطاح به قبل هذا التاريخ).

بتنا فى ذلك الموقع بدون فراش إلا تلك الحصيرة. وبدون غطاء وبدون وسائد إلا أيدينا وعند الفجر استيقظت على رجل ملثم يحوم حولنا وينظر إلينا.

استغربت من منظره وتصرفه فعمامته التى يخفى بها أكثر وجهه عبارة عن منشف يلفه على رأسه وهى ليست من عمائم سكان المنطقة.

قامت المجموعة المرافقة لى واحضروا شيئاً من الشاى وبعض الخبز للإفطار.. جاء الرجل وجلس بجانبى وكشف عن وجهه إنه اللواء التهامى خالد رئيس الأمن الداخلى والذى تركته فى بنى وليد.

سلمت عليه بحرارة وتناولنا معاً الفطور وبقينا نتحدث عن شجوننا والصعوبات التى أوصلتنا إلى هنا كان مع التهامى اثنين من أقربائه وكان يحمل جوازاً عادياً.

ارتفعت الشمس والتجأنا إلى ظل الاستراحة وكان التهامى محبطاً يشكو من ضيق ذات اليد فقام الدكتور شاكير ودخل إلى الاستراحة حيث زوجته وأولاده واحضر مبلغا من المال دسه فى يد التهامى خالد.

كنت أتمنى أننى قمت بذلك ولكن مع الاسف كان حالى كحاله إلا أننى لم أشكو.

عند المساء جاءت الحافلة من جديد وشحنت المجموعة التى وافقت الجوازات على إدخالها ومنحتها التأشيرة وكان من ضمنها التهامى خالد ومرافقيه.

كلفت ابنى سيف بالعودة إلى الشاطىء لاحضار بقية العائلة بحيث ندخل

للجزائر معاً أو نبقى فى غات معا إلى أن يفرج الله فرجه.

وفى منتصف نهار اليوم الثالث جاء الضابط الجزائرى وأشار بأصبعه لى أنا وشاكير وهدى بأننا ممنوعين من الدخول للجزائر. فصاح شاكير وارغى وأزبد وهدد بالاتصال بالمنظمات الدولية والإنسانية والغير إنسانية وهدد بأن يسيرفى الصحراء بأبنائه الصغار وزوجته ليموتوا عطشا وتبقى وصمة عار فى جبين الجزائر.

أما هدى فقد أنزعجت هى الأخرى وذهبت مع الضابط لتشرح له وضعها.

وأنا لم أنبس ببنت شفه وتقبلت الأمر بصبر لأننى أعرف أن هذا الضابط عبد مأمور.. وجاء فى هذا الأثناء أحد الأقرباء من غات يحمل لنا قصعة غذاء طلبت من شاكير أن يشاركنى هو وزوجته فى الأكل وأقسمت عليه.

تناولنا الغذاء معا وقلت له ولهدى علينا العودة إلى غات وأن نستخرج جوازات سفر عادية ونحاول الكرة مرة أخرى ومن بوابة أخرى.

خرجنا من الاستراحة وطلبت من ابنى محمد أن يخاطب الموظف بالسفارة عبدالقادر الحبشى ويأخذ منه رقم هاتف السفير الجزائرى فى الرياض فهو صديقى لعله يتدخل لدى دولته.

محمد علاقته طيبة بالموظف فكلمه ليعطيه رقم هاتف السفير فاغلق هاتفه ولم يرد فقلت له اطلب السائق الذى أجاب ومنحه رقم هاتف السفير الجزائرى وابلغنى بأنه طردوه من العمل.

اتصلت بالسفير فكلمتنى السكرتيرة التى قالت إن السفير يتكلم فى هاتف آخر.

تركت عندها رقم هاتفى (الثريا) ليكلمنى إنه صديقى طيلة المدة التى بقيتها فى الرياض فلم يكلمنى السيد السفير حتى هذه اللحظة.

خرجنا من الاستراحة واتجهنا إلى غات حيث مررنا بطلحتنا نهار الأمس فوجدت اللواء حسين الكونى يجلس فى ظلالها مع يونس ابن الفريق أبوبكر يونس جابر.

سلمت عليهما وعرفت أن الجزائريين لم يسمحوا لأسرة أبوبكر يونس جابر بالدخول وكان معهم سائق عقيد أبوأصبع الذى تغدى معنا فرجعوا إلى الجفرة وفى الطريق وقعوا فى كمين وقتل العقيد أبوأصبع رحمه الله أما يونس فوصل إلى والده فى سرت وتم القبض عليه ولا يزال فى سجون المتمردين.

وقد طلب منى اللواء حسين بالخروج فوراً من المنطقة لأن المتمردين قد يصلون فى أى لحظة قادمين من غدامس.

■■■

عدنا إلى غات وآويت إلى منزل أحد الأقرباء فى انتظار قدوم العائلة واستقبلنى النساء بالبكاء عرفت عندها عمق الكارثة والمأساة التى تعرضنا لها. الكهرباء مقطوع. وبذلك جفت الآبار فالمضخات لم تعد تشتغل فصار الماء معدوما إلا من بعض الآبار القليلة فى غات التى يملك أصحابها مولدات كهربائية. وجفت الزراعة والخضراوات.. الطيور فى غات ماتت عطشا فلم تعد تسمع هديل الحمام ولم تعد تر طائراً فى غات.

اشتعلت النار فى سياج أحد المزارع المصنوع من جريد النخل وبقيت النار ثلاثة أيام تنتقل من سياج إلى سياج دون أن تجد من يطفئها لانعدام وجود المياه.

■■■

وصلت العائلة بسلام وأصبحنا عبئا على مستضافنا لانعدام المواد وانعدام المياه ومع ذلك بذلوا كل جهدهم فى توفير ما يلزمنا فجزاهم الله خيرا.

وبدأ التارقى وابنه وأحد أقربائه يساومنى فى أن أدفع ٢٣ ألف دولار ليدفع رشاوى للجزائريين ويسمحون لنا بالدخول.

بقينا عدة أيام على هذا الأمل.

وأخيراً قررت أن أطلب جوازات سفر عادية فعرض علينا موظفو جوازاتنا

بأن ندفع ١٠٠٠٠ عشرة آلاف دينار لكل جواز وبعنا السيارات بثمن بخس ولما أن العائلة كبيرة ولم يكن عندى المبلغ الكافى لشراء جوازات سفر لها رأيت أن تنقسم العائلة سيف ابنى وأسرته وأمه يرجعون إلى سبها لأن أمه لا تريد أن تفارق بناتها المتزوجات فى طرابلس وسبها.

وبقية الصغار اشتريت لهم جوازات سفر عادية وكتبت اسما مستعارا لى وكذلك فعل شاكير الذى دفع سيارته نظير الجوازات وفعلت هدى وودعت سيف وأسرته وأمه عائدين إلى المجهول وأنا وبقية العائلة سيبتلعنى القدر بأى مشيئة يراها وزود الصغار أخوتهم بزاد من الدموع والأسى والنشيج.

وبدأ ذلك التارقى وابنه وأحد أقاربه يترددون على فى أى ساعة من ساعات الليل بحجة أنهم لا يريدون أن يراهم أحد فى النهار.

وكانوا يعرضون خدماتهم مقابل مبالغ مالية باهظة ليست فى مقدورى دفعها.

وكنت قلقاً من تحذير حسين كونى بأن المتمردين قد يصلون غات فى أى لحظة.

اشتريت جوازات للأسرة كل جواز بمبلغ ١٠٠٠٠ عشرة آلاف دينار باستثناء جواز واحد احضره لى أحد التوارق فأصر على أن أدفع له ١٥٠٠ ألف وخمسمائة دينار منحة له على تعبه زيادة على العشرة آلاف دينار وازداد سعر الجوازات فيما بعد إلى ١٥٠٠٠ خمسة عشرة ألف دينار واردت تجديد جوازى الدبلوماسى فجاء ولد من الجوازات يحمل اختامها وختم لى ووقع مقابل ٢٠٠٠ ألفى دينار وتبين فيما بعد بأن تجديده لم يتم لأنه كرر نفس التاريخ السابق وكان توقيعه أغلى توقيع عرفته.

اتصل ذلك التارقى بأحد شيوخ التوارق فى المنقطة الجزائرية يدعى (غومه) وهو على علاقة بليبيا والليبيين ومن أصول ليبية.

وأعطانى كلمته فرحب بى وشكرنى على وقوفى واحتضانى للتوارق وهو يعرفنى بالسماع ويرحب بى فى (ليزى).

لم أقل للتارقى اننى اشتريت جوازات سفر ولما علم جاءنى يطلب مبلغ ٢٠٠٠٠ عشرين ألف دولار مقابل أتعابه مع أنه لم ينجز لى شيئاً.

اعتذرت له بأننى لا أملك المبلغ فانصرف وهو يتمتم بالتارقية وخشيت أن يوشى بى لأحد أو يتصل بالجزائريين ليمنعونى من الدخول. فتوجست منه خيفة. وكانت غات تخرج فى مسيرة كل ليلة تؤيد ثورة الفاتح من سبتمبر والعقيد القذافى وحتى عندما وصل المتمردون إلى غات أصر أهالى غات أن ينزلوا العلم الليبى بالنشيد وأن يضموه واحتفظوا به وتركوا السارية للمتمردين.

جهز لى ذلك القريب سيارتين صحراويتين قال إنه يثق فى السائقين فمع الأسف إن الثقة صارت متزعزعة من الجميع.

ركبت العائلة فى السيارتين لنتوجه إلى تارات وهو منفذ يقع إلى الشمال من غات بعيدا عن المنفذ السابق (تين الكم) الذى ارجعنا ومنعنا من الدخول.

المسافة إلى هذا المعبر تقدر ب(٦٠٠) ستمائة كيلومتر حيث تسير باتجاه العوينات ٣٠٠ ثلاثمائة كيلو متر وترجع باتجاه تارات ٣٠٠ ثلاثمائة كيلومترا.

ودعنا مضيفينا وشيعونا بالدموع نساء ورجالا ووقفت السيدة فاطمة الشيبانى تودعنى وهى توصينى بأن اتصل بهم عند وصولى. كانت تشنج وتكفكف فى دموعها بطرف ردائها لقد كان ذلك الوداع هو الأخير فلقد توفاها الله بعدنا بقليل.

واستعجل ابنى زهير وذهب إلى معبر (تين الكم) متوقعاً أن الجزائريين يسمحون له بالدخول فواجهوه باسم والده وحرفته وارجعوه إلى غات وقد وجدنا قد سافرنا فلحق بنا فى ليزى.

كان ايجار السيارة فى الظروف العادية ١٠٠ مائة دينار والآن طلب علينا السائقين مبلغ ١١٠٠ ألف ومائة دينار أجرة كل سيارة هكذا هو استغلال الإنسان لأخيه الإنسان فى ظروف بائسة كظروف الليبيين فى تلك الفترة.

ودعنا مضيفينا بحرارة وقد نلتقى وقد يكون آخر لقاء. انطلقنا مع الطريق من غات باتجاه العوينات كل سيارة نراها فى الطريق المعاكس هو عدو هكذا يقع فى تخيلاتنا.

كان جبل أكاكوس يحفنا من اليمين هذه المرة ولاح لنا من البعيد (كاف الجنون) بأعمدته التى صنعتها الطبيعة فى أعلاه وهى أشبه بأعمدة هرقل.

وتركنا مشروع تهاله يسارنا ترتع فيه بعض النوق ككل الأماكن المهملة.

ثم لاح لنا جبل آخر يبعد عن العوينات حوالى ٦٠ كيلومتر.

لم يواصل السائق السير باتجاه العوينات بل انحرف يسارا بدون طريق. وانبسطت أمامنا الصحراء برمالها الواسعة وكثبانها المترصة ولا أحد يصادفك ولا أحد تراه لو أصيبت السيارة بعطل تبقى إلى أبد الأبدين لا يراها أحد ولا ماء ولا شجر قال إنه سيختصر الطريق.

نحن نسير باتجاه جبال الرمال التى يقطعها القاطع بصعوبة وهى التى تفصل الحمادة الحمراء بوادى الأجال وهى التى يقطعها القادمون من غدامس بصعوبة ولابد من ايجاد خبير.

لقد أخبرنى حسين كونى أن المتمردين قد يصلون من غدامس فى أى لحظة.

قد ترمي بهم الكثبان فى اتجاهنا.

ليس معى إلا الأطفال الصغار والأولاد الثلاثة سعيد ومحمد وزيد وليس لدينا أى سلاح.

فإذا صادفونا سنموت كما يقولون (فطيسه) دون دفاع عن النفس.

السائق مركز عينيه على التيه الذى ادخلنا فيه. الأولاد الصغار يتجاذبون قنينات الماء وغير شاعرين بالخطر ويشتكون من بعضهم متزاحمين فى المقعد.

أما أنا فكل الأفكار السيئة تحيط بى ويكاد قلبى يسبقنى فى الطريق.

لا حديث مع السائق إذ ليس بيننا حديثا مشتركا إلا أن يوصلنا إلى تارات.

بعد لأى لاحت لنا شبه طريق ممهد قليلاً وغير معبد قادم من العوينات ومتوجه إلى تارات البوابة الجزائرية من الشرق إلى الغرب ينتصب كوخ حقير من جريد النخل أشاده رجال الأمن الذين يتابعون المنطقة ويحرسون حدود الوطن ويطاردون المهربين.

الكوخ بائس تلعب الرياح فى جنباته. لا يوجد أى شيء بجانبه لا خزان مياه ولا موقع اتصال. وهو عبارة عن سقف بلا جوانب. أين المسئولين فى الوطن الذين لم ينتبهوا لمعاناة هؤلاء الأبطال الذين يقاسون الحر والبرد ولفح الرياح فى كل الأوقات..؟ ماذا يخسر الوطن لو ابتنى لهم غرفة أو استراحة وزودوها بمولد كهرباء ومحطة اتصال..؟

إنه الإهمال وعدم الشعور بالمسئولية للرؤساء الذين يقبعون فى العواصم ويهملون أقاصى الوطن. الكوخ لا يوجد به أحد.

وجدنا الطريق واتجهنا معها يساراً وينطبق على قول قيس بن الملوح عندما يشاهد جبل التوباد حيث يقول:

فاجهشت للتوباد لما رأيته وكبر للرحمن لما رآنى

أصبحت جبال الكثبان الرملية على يميننا شامخة متغلغلة فى اتجاه الجزائر منطلقة من منطقة (زلاف) بالشاطئ.

وتتجمع الرمال فى أعالى الجبال الصغيرة التى يبرز أحجارها ناتئة سوداء بين بياض الرمال.

هذه الطريق أو هذا الاتجاه قطعه المجاهدون الليبيون عام ١٩٣١ هاربين من بطش الطليان وطيرانهم ومرتزقتهم من الليبيين.

قطعوها على ظهور الإبل والرجال يمشون حفاة يربطون بطونهم من الجوع ويتساقط الضعاف فى الطريق صرعى العطش.

فهذا المهمه من الصحراء لا توجد به مياه. فمن العوينات إلى تارات ٣٠٠ كيلومتر لا يوجد بها بئر واحد.

الإيطاليون بباندتهم يتتبعونهم وجنود الباندات من الليبيين الذين خانوا الوطن وخانوا أهلهم وذويهم.

وما أشبه الليلة بالبارحة نفس أحفاد الخونة بالأمس يتبعوننا اليوم خدمة للناتو ولمصالح الغرب ولمؤامراته.

انفجر اطار السيارة فانقطع حبل تفكيرى ونزل السائق وكذلك السائق الآخر وشرعوا فى تغيير الإطار.

استغليت الوقوف وصليت الظهر والعصر جمعا ودعوت الله أن ينجينا من خطر المتمردين. ولازالت عيونى مسمرة باتجاه الكثبان الرملية التى تحفنا من الشمال إن وراء هذه الكثبان مكامن الخطر.

تم تغيير الإطار السائقان يتجاذبان أطراف الحديث فالموضوع عادى عندهما إنهما رجال الصحراء الذين لا يأبهون بالمخاطر ولا تعنيهم المخاطر.

واصلنا السير حتى وصلنا إلى غرفة بائسة فى الصحراء بجانبها كوخ من جريد النخل إنها مقر الجوازات والجمارك الليبية.

المسئولون لم يفكروا أن يشيدوا مبنى يليق بسمعة الوطن ويضم العاملين فى هذا التيه الصحراوى.

لم أنزل من السيارة مخافة أن يعرفنى أحد وجواز سفرى باسم مستعار نزل الأولاد ومعهم الجوازات جاءنى ابنى سعيد ليخبرنى أن الشيخ الزناتى يجلس داخل الغرفة.

لم أنزل لرؤيته مخافة أن يفتضح أمرى ويفشل الخروج لتزوير الاسم.

كانت هناك شجرة طلحة كبيرة فى الأرض الحرام بين الدولتين تغرى بالجلوس تحتها وشرب الشاى ولكن أى نحن من الفسحة ومن الشاى.

اخذنا تأشيرة الخروج من الوطن إلى وقت لا نعرف مداه وقد نرجع وقد لا نرجع وانطلقت السيارات تودع آخر تراب الوطن إنها لحظة حزينة لا يدركها إلا من عاشها.

هناك على مرتفع يلوح مبنى واسع هو المبنى الجزائرى للجوازات والجمارك ورجال الأمن إنه مبنى يليق بسمعة دولة. قبل أن ننطلق جاءت سيارة خيمة تحمل فى صندوقها خزان وقود ملئ بالبنزين من الموقع الجزائرى واختفت تحت أكمة بجانب الموقع الليبى.

خرج لها أحد رجال الجمارك الليبية ولحقها وبعد قليل رجعت بدون خزان.

إنها تجارة التهريب يمارسها عمال الدولتين بين الحدود.

وصلنا إلى المبنى الجزائرى عشرات السيارات تقف خارج المبنى جزائرية وليبية.

أنزلنا حقائبنا تم تفتيشها بجهاز كشف المعادن وأى حقيبة يرن الجهاز مقابلها يوجب فتحها فنجد بها موسى حلاقة أو مشط حديدى أو أى شىء مقبضه من المعدن.

وادخلونا إلى غرفة بها اثنين من شرطة الجمارك واخرجنا لهما ما بحوزتى من نقود كان مبلغاً زهيداً قاموا بعده وسرقوا منه ٤٥٠٠ أربعة آلاف وخمسمائة يورو. حاولت أن احتج فانكروا المبلغ.

وكانت عند ابنتى الصغيرة نجود آلة تصوير أخذها منها الشرطى كما أخذ آلة تصوير أخرى عند ابنى محمد وأخذ ساعة يده مقابل أن يسمح لنا بادخال مبلغ زهيد بالعملة الليبية الممنوع دخولها للجزائر.

انهينا التفتيش وحرق الأعصاب وختموا لنا الجوازات وأظلم الليل فجلسنا خارج المبنى مقابل ثلاث سيارات كريزر (لبوه) ليبية سألنا عنها فقيل إنها للضابط الليبى شعيب الفرجانى.

فسألت الضابط الجزائرى لماذا لم تعطوه سياراته؟

أجاب مسكناها وقال لقد احضرنا محاسب من مصرف ليزى ليحسب الأموال التى عنده.

وانتهز الضابط الفرصة ليسألنى عن مفتاح كعيبه فقلت له إنه صديقى وكان أميناً فى الدولة الليبية.

قال لى لقد منعناه من الدخول مع أنه مريض بالسكر فادخلناه المستشفى ولما تحسنت حالته ارجعناه اليوم إلى ليبيا.

لقد تبين أن الذى رآه سعيد ابنى فى مبنى الجوازات الليبى هو الاستاذ مفتاح كعيبة.

لقد أصيب ابن مفتاح كعيبة بغيبوبة منذ الأحداث ولا يزال فى المستشفى بتونس وعومل مفتاح بغلظة من قبل الجزائريين ورجع إلى ليبيا ثم توجه إلى النيجر فصادفه قطاع الطرق وسلبوه كل ما عنده ووصل أخيراً إلى مصر فى ظروف سيئة.

وصلت للمقر مجموعة من الأتوبيسات الصغيرة وواحدة كبيرة صاح الشرطة فينا بأن نركبوا فى الشاحنة الكبيرة فهى مخصصة للاجئين.

سبحان الله قبل ساعات كنت سفيرا لليبيا والآن لاجئ.

فوجئت بالتارقى قريب التارقى الكبير فى غاث يسمى (فنايت) يبحث عنى ليسلم على. تشاءمت من سلامه وبحثه عنى وتوقعت أنه سيبلغ الجزائريين عن هويتى لأننى لم أدفع له المبلغ المالى الذى طلبه ولا أدرى ما موجب دفع المبلغ.

المهم مر الموضوع بسلام وكان ذلك اليوم هو يوم ١٦/ ٩/ ٢٠١١ نفس الذكرى لاستشهاد شيخ الشهداء عمر المختار وكانت القمر بدرا ينعكس شعاعها على صفحة الرمال البيضاء وكنت فى مثل هذا الوقف أكون رفقة مجموعة من الأصدقاء فى رحلة صيد بالحمادة الحمراء أو جبال الهروج.

واليوم ها أنا أبحث عن ملجأ.

سار بنا السائق وفى الطريق اتفقت معه أن يحملنا لأى فندق ولا يذهب بنا إلى محل تجمع اللاجئين الذى أوصاه الشرطة بأن يحملنا إليه وكان مقابل ذلك مبلغا طلبه السائق.

فى الطريق كانت أفكارى مضطربة أسير نحو المجهول مر من أمام السيارة ذئب أعجف لاشك أنه يقاسى ما أقاسى من الألم وشح المأكل إلا أنه حر طليق يستطيع أن يكيف حياته كما يريد وتمليها عليه الحياة وإذا ما عوى تستجيب له مجموعة من الذئاب تأتى لمساعدته وهنا يختلف موقفه عن موقفى.

فكتبت فى هذا الموضوع القصيدة التالية:

مناجاة الذئب الذى مر من أمامنا ليلاً فى صحراء (ليزى) بغرب الجزائر ١٦/٩/٢٠١١.

يا ذيب أنا وياك والدهر يا ذيب

انبـاتـوا عـلى طـول ليلك سـهاره

تعوى وياتوك عوج العراقيب(١)

ضوامر من الجوع يمشوا عصارة

سود السكافيل شيب الجراعيب(٢)

يجـاوبـوك يـا ذيـب مـن كـل قـارة

اضمار حرد لشداق يُبس الضنابيب

لهـم وقـت مـا حلقوا عـل مغاره

(١)...عوج العراقيب: هم الذئاب.

(٢)...السكافيل: أذناب الذئاب.

شيب الجراعيب: مقدمتها بين الرأس والصدر أشيب وتسمى (جرعوب)

بأنياب حربات فيد المحاريب

وصـف المخاليب ولـدوا بـداره

قدا أعواك يا ذيب ياتوا مقاريب[١]

انـداك فى ظـلام الليلالى ابشاره

وأنا انداى يا ذيب عقب التغاريب

ما جاوبه كـان صـوت الصحاره

ولاجــوا فــزاع فـوق المراكيب

من (بى) (للبارده) (لعين ماره)[٢]

ومن غلبة الـروم زيِّى مكاريب

يهيفوا على الوطن يجلوا غياره

لا بردهم بيت لا قصر لا كيب[٣]

ولا سـور تشعل عليه الفنارة

ولا يردهم ردم وني الزراديب[٤]

ولا امترس القوم خلف الشكاره[٥]

يتراغثوا للشهادة مراجيب[٦]

---

(١)... مقاريب: يجرون جرى التقريب وهو نوع من الجرى وهو ليس بالسريع ولا بالبطىء.

(٢)... بي: وادى بى الشهير قرب بنى وليد

والبارده: أرض للحراثة قريب تيجى. ـ وعين مارة: بالجبل الأخضر.

(٣)... الكيب: هو مبنى بالقش. وفى الكلمة توريه لرئيس الوزراء بطرابلس والمسمى (الكيب).

(٤)... ردم: كوم من التراب (ساتر).

(٥)... امترس: الجندى المتمترس فى الأرض استعدادا للقتال الشكاره: أكياس الرمل.

(٦)... يتراغثوا: يتصايحون صياح الحرب.

مراجيب: فرحين بالشهادة.

كـل حـد فى مـارق الـديـن ثـاره

مشاخيب فى منتواهم مشاخيب[1]

أعـظـام يـكـسروا قـالات الجباره

شراهه اتقول يلعبوا بالمشاهيب

عقاب ليل فى ليل مظلم استاره

ينسوا التكادير والهم والسيب

وبـوعـذر مـا تنفعاشى عـذاره

مغاضيب يتلاطموا فى مغاضيب

كـورة عـصـا طـايحـه فى عـزاره

وتسمع أمهاجاتهم والتهذيب[2]

قطا فـوق لـسراوداير مـداره[3]

على القلب يا ذيب يجلوا منا شيب

مـغـاريـس هـى سـبـايـب دمـاره

ويطفوا سوامير نار اللهاليب

الـلى تحـت عـوج الحـنـيّـات نـاره

وإن جيت يا ذيب وين ترتع النيب[4]

(١)... مشاخيب: متجهين لهدفهم بسرعة فائقة وفى استقامة (مثل شخب الحليب من الضرع).

(٢)... المهاجاة: نشيد الحرب

التهذيب: اصدار الأوامر لبعضهم البعض والتوجيهات والتشجيع.

(٣).. لسراو: جمع سرى وهو الماء الجارى من النبع.

(٤)... النيب: الإبل الكبيرة فى العمر.

عبسها كـما العطر فايح عطاره

وين أرضها امعورجه بالتعاجيب

أفكل واطيه ايفوح نور الشقاره[1]

هذاك نادى المزاغيم يا ذيب[2]

غـير يتبعوا جيشهم فى مساره

وتبدوا على كل قـاره مناصيب

اتـراجـوا اتقول شادين الغفاره

وأنـا واقـد النار شيخ التراتيب

فى املاطم القوم نرمى اخياره

صيعان يــوم لمعيط مجاذيب

يهيفوا كـما دلــو طـالـت امجـاره

وبالنار يحموا اديـار المحاجيب

امّــات البخانيق صابغ انياره

حجرى لفى بيه غزر ليشابيب

يسوى الوطى علوها بالحداره

الثار (ناديه) ما يفوتوا مطاليب

لن يخلص الكيل ثـار العتارة[3]

---

(١)...الشقاره: نوع من الازهار البرية له رائحة ذكية.

(٢)...المزاغيم: الذين مضت عليهم مدة لم يذوقوا اللحم.

(٣)...ناديه العترى: قتلها المتمردون بعد أن قتلت منهم ثلاثة خلاصا لثار اخوتها الثلاثة الذين قتلوا فى المعركة.

وبوسيف قدام نار المشاريب[1]

قصود لجل يوم المعامع ازراره

الياتاق لنذال يمشوا هراريب

من الخوف يتلبدوا أفكل حاره

ويا ذيب لاشك تبدوا مخاضيب

فى دم خيان خاووا النصاره

ولاشك نتلاطموا بالتراحيب

أنا وياك يا ذيب وسط الجفاره

■■■

وصلنا إلى فندق صغير لاشك أنه بنجمة واحدة أو بلا نجوم وحجزت غرفتين فيه.

وقيل لى إن الفندق الآخر حجزه أحد أثرياء ليبيا بجميع غرفه وطلب عدم استقبال أى أحد به.

وذهبت الحافلة الكبيرة بركابها إلى مدرسة خصصوها للاجئين.

عند الصباح وضحت لنا صورة القرية (ليزى) معظم مبانيها بالحجارة المحلية دون أن يكسوها الأسمنت أو الجبس.

تتوسطها ربوة عالية مبنية عليها المبانى وهى بيوت شعبية متواضعة.

وفى وسط القرية حديقة مسوره كتب عليها حديقة (إبراهيم بكدا) وهو أحد مشاهير توارق الهقار وله مشاحنات ومعارك مع توارق غات وتوارق مالى ويعتبر من زعماء التوارق.

(١)... بوسيف: هو الشاعر.

والتقيت فى الصباح بأسرة خليفة حنيش ولده وأبناء أخيه وكنت متحمساً للعودة وتحرير البلاد وقلت لهم لم نأت لنأكل الخبز هنا علينا التفكير فى العودة إلى الوطن وتحدثت كثيراً ولم ينبسوا ببنت شفه.

الناس لازالت مصدومة والتقيت ببعض الذين باتوا فى المدرسة (الملجأ) فأخبرنى أن نقودهم تمت سرقتها.

وحاولت أن أرى (غومه) شيخ التوارق فى المنطقة والذى وجدت ابنه إبراهيم فى معبر تارات. وقيل لى إنه يرول هو الآخر التهريب. وبالرغم من أننى سلمت عليه وابلغته اننى قادم لأرى والده ولكنه لم يهش بى ولم يرحب ولم يقل أى كلمة تدل على الترحيب الأمر الذى جعل الضابط يقول: أنت قادم للجزائر وليس لغومه. بقيت عشرة أيام (بليزى) أفكر هل استقر بها أوانتقل إلى غيرها.

جاءنى العقيد عوض حنيش الذى هو على علاقة بالشيخ غومه وابلغنى أن غومه يبلغك السلام وإن الناس صارت تعرفك هنا وعليك أن تخرج من (ليزى).

حجزت لى وللأسرة من مطار (اين امناس) وهى منطقة ليبية ضمها الفرنسيون للجزائر أيام استيلائهم على فزان.

سرنا بالسيارات وكانت مشاعل النفط تلتهب على يميننا وعلى يسارنا تمزق حلكة الظلام.

حيث وصلنا إلى (اين امناس) ووجدت موظفا من البلدية فى استقبالى ورحب بى وتأخر اقلاع الطائرة.ربع ساعة فى انتظارى فلهم الشكر. وقد قررت الأسرة حرق جوازات السفر الدبلوماسية لان عليها توقيع شلقم. وصلنا إلى الجزائر العاصمة بعد هبوط فى حاسى مسعود ووجدنا صديقا لابنى سعيد ينتظرنا حيث ساقنا إلى فندق صغير وجدت به أسرة موسى النداب وبعض الليبيين الآخرين.

حاولت أن أناقش معهم قضية الوطن والعمل من أجل إرجاعه إلا أننى لم أجد

أذاناً صاغية فالناس لازالوا مصدومين ويفكرون فى كيفية الإقامة والاستقرار.

بحث الأولاد عن شقة للايجار ووجدناها بصعوبة لأن فى الجزائر الأمور متشددة فلا يؤجر لك إلا بالإقامة والإقامة تحتاج لأكثر من عام لتجمع أوراقها وممنوع أن تشترى مسكنا أو تعمل فى الجزائر لكونك اجنبى أو أن تدرس بالجامعة المهم تم تأجير الشقة وهى متعبة لا تحجب ماء المطر ولا البرد.

بعد حوالى الشهر اتصل بى أحد مسئولى جبهة التحرير واسمه الصادق بوقطايه وبالرغم من أننى أخذت شفرة الجوال كما تقتضى المعاملات فى الجزائر بجواز سفرى وعقد مع البائع وباسمى المستعار إلا أن بوقطايه اتصل بى على الهاتف يسألنى أنت فلان اجبته بنعم فحدد لى موعدا للقاء وكان من المترددين على ليبيا التقينا وتحدثنا ورحب بى وهو يقول مرحبا بك فى وطنك الجزائر وطلبت منه دعمنا للعودة للوطن وطلب منى تقديم مذكرة بذلك وتعددت اللقاءات معه وأخيراً أحضر معه شخصا قدمه لى بان اسمه ميلود البغدادى عرفت فيما بعد أنه ضابط مخابرات وصار ميلود هو حلقة الوصل بينى وبين السلطات الجزائرية واختفى الصادق بوقطايه نهائيا فلم يعد يتصل ولا يرد على اتصالى ولا حتى تهنئتى بالعيد.

انقطعت الأخبار عن الوطن إلا ما تبثه الفضائيات ولم أعد أسمع عن العقيد القذافى منذ يوم ١٨/ ٨/ ٢٠١١ وتكثف القصف على سرت وهاجمها المتمردون من الغرب ومن الشرق إلى جانب صواريخ البوارج والطائرات.

وجاءت وزيرة خارجية أمريكا إلى طرابلس ونزلت فى مطار (معيتيقه) ذلك المطار الذى كان قاعدة أمريكية وطردتها ثوزة الفاتح من سبتمبر عام ١٩٧٠ واليوم تعود منتصرة ويلتف حولها العملاء حيث يجعلونها تلقى كلمة فى فندق (كورنتيا) لتقول كلاماً بذيئاً سخيفاً لا يقوله عاقل فهى تقول إن القذافى يزود جنوده بالفياجرا وعلب المراهم إنه تفكير أمريكى تافه والقذافى وجنوده أرقي هذا المستوى المتدنى

الذى تحدثت عنه وزيرة خارجية أمريكا.

وهم ولا شك رصدوا العقيد حيث كثفوا القصف على سرت وسقط آلاف الشهداء من هذه البلدة المجاهدة وتهدمت الدور وبعد أن علمت رفض مسعود عبدالحفيظ قدوم العقيد لسبها صرت متيقنا أنه فى سرت.

وكنا نتتبع الأخبار وأعصابنا مشدودة وفى يوم ٢٠/ ١٠/ ٢٠١١ صباحا اتصلت بى ابنة صديقى اللادى بشير من تمنراست بجنوب الجزائر تعلمنى أن العقيد تنشر الفضائيات القبض عليه.

فتحت الشاشة وشاهدت منظرا مؤلما لا يتمنى أى إنسان ان يراه. العقيد القذافى تمزق ملابسه الغوغاء والدم يسيل من جبهته. ثم قتلوه وعرضوا جثته لعدة أيام فى ثلاجة بمصراته تلك المدينة التى أحبها وشيد عمارها وكان بجانبه أبوبكر يونس جابر وابنه المعتصم.

الذين كانوا يقدمون له وثائق البيعة ويتسابقون للمس يده للسلام عليه والذين علمهم ودربهم على السلاح ها هم يتسابقون لاظهار ولائهم للقادمين الجدد ويغالون فى شتمه وسبه ونسب كل نقيصة إليه.

لقد كان ذلك اليوم بالنسبة لى ولا غلب المهاجرين يوما مؤلما ومنظرا ما كنا نتمنى أن نراه وكان قبل أيام من عيد الأضحى الذى عزف الكثيرون عن الاحتفال به أو التضحية.

وأعلنت تونس فيما بعد إنها قبضت على رئيس الوزراء البغدادى المحمودى ذلك الرجل اذى دعم تونس وكان يمنح راتباً شهرياً للغنوشى وهو بالمنفى بناء على أوامر القذافى الذى يأمر بمساعدة كل المعارضين العرب رواتب حتى لا يسقطوا فى أيدى المخابرات الأجنبية وليحفظوا ماء وجوههم.

الغنوشى كافأ البغدادى بأن سلمه للمتمردين من الإخوان المسلمين فى طرابلس

وأودعوه السجن وعرضوه للتعذيب والإهانة مقابل ٢٠٠ مائتى مليون دولار كما سلمت مجموعة من الضباط تم تخديرهم وشحنهم فى سيارات الإسعاف إلى طرابلس ليعدموا هناك.

ولم تكن موريتانيا أكثر وفاء من تونس فرئيسها محمد بن عبدالعزيز الذى اتصلت به أنا شخصياً فى أول يوم من انقلابه هو وابن عمه على على معاويه ولد الطائع وعرضت عليه الاعتراف من ليبيا ودعمهم بما يحتاجون إليه وذلك بأوامر العقيد القذافى.

وذهب القذافى شخصيا لدعمه فى موريتانيا بعدما انقلب على ابن عمه وقاطع الاجتماع مجموعة المعارضة لأن العقيد طلب منهم الالتفاف حول محمد بن عبدالعزيز.

هذا الرجل قام بالقبض على عبدالله السنوسى وسلمه إلى المتمردين مقابل مليار وربع دولار كما تناقلت الأخبار وبعد أن وعد بعدم تسليمه وقام بعرضه للتحقيق من قبل السعوديين والفرنسيين والأمريكان.

وقامت النيجر بأسوأ من ذلك فرئيس النيجر دعمه القذافى للوصول إلى الحكم ووزير خارجيتها وهو من أصل ليبى كانت ليبيا تدعمه.

قام هذا العديم الوفاء بتسليم ابن القذافى الساعدى للمتمردين.

كما قام بتسليم الضابط عبدالله منصور بعد أن وعده بعدم التسليم وصرح له بأنه ضيفاً على النيجر.

كل هذه المآسى وغيرها من المآسى والحكايات المطولة سأتحدث عنها فى الكتاب القادم (أربعون شهراً فى الجزائر).

كما سأتحدث عن وصول عائلة القذافى للجزائر وعن تأسيس (الحركة الوطنية الشعبية الليبية) كوعاء سياسى لاسترجاع ليبيا.

الخاتمة

هاجر الليبيون زرافاة ووحدانا إلى البلدان المجاورة. وقاسى كل فرد من الآلام والمتاعب ما قاسى. وطرد بعضهم وسجن البعض الآخر وعاش البعض الحياة الضنكى. وتم تسليم البعض مقابل المال واستولى المتمردون على الوطن ونهبوا كل ما ينهب من أموال وأثاث وحرقوا البيوت وقتلوا الناس ونشروا على صفحات التواصل أعمالهم الشنيعة من قطع رؤوس معارضيهم وتقطيع الأجسام وانتهاك الأعراض والتعذيب بالكهرباء والطبخ فى القدور وخلع الأظافر والأسنان وكل ما لا تجيزه الشريعة ولا شريعة البشر.

وقتل معمر القذافى فى مذبحة شنيعة هو والرتل الذى كان معه حيث ضربته الطائرات الفرنسية (الأباتشى) بالغازات وشلت قدرة المقاتلين وتم تسليمه للرعاع حيث مثلوا به وهو حى ثم قتلوه ولم يكن ساركوزى الرئيس الفرنسى بالبعيد عن الحادث ولا أمير قطر المكلف بأن يكون حاقداً بلا سبب.

ونقل الأحياء من رجال الرتل بعد أن أغمى عليهم من غاز الأعصاب التى ضربتهم طائرة الأباتشى الفرنسية إلى فندق بسرت وتم اعدامهم عليهم رحمة الله.

ونسينا فى زحمة المأساة زين العابدين بن على الرئيس التونسى فى جدة.

إلا أن السعوديين علمت أنهم توسطوا له باسترجاع بيته وأملاك اسرته وأسرة أصهاره (عائلة الطرابلسى).

وصرح الغنوشى بأن بن على يجب أن يمنح جواز سفر له ولعائلته فهو تونسى

ولا يجوز حرمان أى تونسى من حقه الذى كفله له الدستور.

كما علمت أنهم أعادوا حزب ابن على للعمل.

وقد طلب منى فى آخر لقاء لى به أن يتوسط له العقيد ليعيش فى تونس تحت الإقامة الجبرية ويلتحق أولاده بالمدارس.

ولا أدرى أن حقق له السعوديون طلبه أم لا خاصة وأن السعوديين قد انشلغوا فى حالهم وانزلقوا فى مستنقع اليمن وكم كنا نتمنى أن لا يدخلوه.

ولكنها مشيئة الله.

صدر للمؤلف

١-بين نجوع البادية شعر شعبى طبعتان

٢-عشيات وادى غدُّو شعر شعبى طبعتان

٣-ريم على الغدير شعر شعبى طبعتان

٤-من ليالى السمر شعر شعبى طبعتان

٥-بين الجديد وقاره شعر شعبى طبعتان

٦-فى ظلال السدر شعر شعبى

٧-صبا نجد شعر شعبى

٨-رباعيات حائرة شعر شعبى

٩-عجاج وادى حنيفه شعر شعبى

١٠-تنهيدات مهاجر شعر شعبى

١١-إلى وطنى شعر شعبى

١٢-صبا الحمادة الحمراء شعر شعبى

١٣-صبا الهروج شعر شعبى

١٤-نسائم الوطن شعر شعبى

١٥-فجر الذكريات ديوان شعر

١٦-٧ قصائد ثورية ديوان شعر

١٧-وداعاً.. للرحيل ديوان شعر

١٨-حفيف الطلح ديوان شعر

١٩-إلى راعيه ديوان شعر

٢٠-خمائل الأقحوان ديوان شعر

٢١-لوافح الصحراء ديوان شعر

٢٢-بحةالناى ديوان شعر

٢٣-رسائل قن الغربة ديوان شعر

٢٤-بركان الشعوب ديوان شعر

٢٥-الفروسية فى ليبيا دراسة

٢٦-صدى الجهاد الليبى فى الأدب الشعبى دراسة

٢٧-سوف المحمودى حياته وشعره

٢٨-التراث الشعبى العربى الليبى

٢٩-من ظفار إلى الساقية الحمراء (رحلات)

٣٠-مشاهدات صحفى (رحلات)

٣١-خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام (تاريخ)

٣٢-القرضابية (تاريخ)

٣٣-معارك الدفاع عن الجبل الغربى (تاريخ)

٣٤-الصحراء تشتعل (تاريخ)

٣٥-من قيادات الجهاد الليبى الشيخ على كله والشيخ المبروك الغدى (تاريخ)

٣٦-جهاد الليبيين ضد فرنسا فى الصحراء الكبرى (تاريخ)

٣٧-من قيادات الجهاد الإفريقى محمد كاوسن (تاريخ)

٣٨-الإيطاليون فى الجنوب الليبى (ارتال مياتى ١٩١٣ - ١٩١٥) تاريخ تحقيق
٣٩-مذكرات المجاهد عون بن سوف (تاريخ)
٤٠-التوارق عرب الصحراء الكبرى
٤١-صحراء العرب الكبرى
٤٢-آزواد أو صحراء التنيرى
٤٣-أعلام من الصحراء
٤٤-الإبل وحضارة الصحراء
٤٥-النار فى الصحراء
٤٦-سمر البدو فى الصحراء
٤٧-من القصص الشعبى فى الصحراء
٤٨-الأمثال الشعبية فى الصحراء
٤٩-حرب المغاوير فى الصحراء
٥٠-من نقائض الشعراء العرب فى الصحراء
٥١-نماذج من الشعر العربى فى الصحراء
٥٢-الشعر الحسانى فى الصحراء
٥٣-رباعيات صحراوية
٥٤-الألعاب الشعبية فى الصحراء
٥٥-الموسيقى والغناء فى الصحراء
٥٦-أمثال من الجفاره
٥٧-حكومة العراسة

٥٨-من أدب الرعاة

٥٩-يتيم وادى تيهاوت (قصة)

٦٠-يوم لا ينسى (قصة)

٦١-العنود (قصة)

٦٢-يا فاطمة الجبل (قصة)

٦٣-ديوان الشاعر ضو العساس (جمع وتحقيق)

٦٤-على خليفة الزائدى قائد ورسالة

٦٥-خى بابا شياخ وآثاره الأدبية

٦٦-أحاديث عابرة (تحقيقات صحفية)

٦٧-الطيور المهاجرة

٦٨-ليبيون فى الجزيرة العربية

٦٩-القبائل العربية بين ليبيا والسعودية

٧٠-نزوى فى الشعر الليبى

٧١-الأسراب الجانحة (قصة ثورة الساقية الحمراء ووادى الذهب)

٧٢-الحوار الشعرى بين عمان وليبيا والجزائر

٧٣-مراحيل العطش فى ليبيا

٧٤-القذافى فى عيون الشعراء العرب

٧٥-سليمان باشا البارونى وآثاره الأدبية فى المهجر

٧٦-طارق الأفريقى أو النمر الأسود

٧٧-الأمثال الشعبية فى الشط الالليبى

تحت الطبع

١ -من شعراء الغرب الليبى
٢ -ديوان[1] الشاعر محمد بن عبدالرحمن الحامدى (جمع وتحقيق)
٣ -ديوان الشاعر بلقاسم بن محمد (جمع وتحقيق)
٤ -ديوان الشاعر أحمد فرده (جمع وتحقيق)
٥ -ديوان الشاعر امحمد كريميد (جمع وتحقيق)
٦ -ديوان الشاعر أحمد بن دله (جمع وتحقيق)
٧ -ديوان الشاعر خليفة الكردى (جمع وتحقيق)
٨ -ديوان الشاعر محمد درمان (جمع وتحقيق)
٩ -ديوان الشاعر عظيم العنابى (جمع وتحقيق)
١٠ -ديوان الشاعر منصور العلاقى تحقيق
١١ -ديوان الشاعر بلقاسم الورشفانى تحقيق
١٢ -ديوان الشاعر محمد بوسيف تحقيق
١٣ -على مشارف الستين
١٤ -الصقور المهاجرة
١٥ -من أبطال ليبيا الفريق أبوبكر يونس جابر
١٦ -قبس من الأحداث

(١)....الدواوين من 1 إلى 12 تم تسليمها إلى مركز التراث الليبى بسبها مخطوطه منذ عام 1995 للنشر.

د. محمد سعيد القشاط

من مواليد ١٩٤٢ بصحراء ليبيا

تحصل على إجازة التدريس العامة من معهد المعلمين بطرابلس ١٩٥٩

اشتغل بالتدريس من ١٩٥٩ - ١٩٦٩

تحصل على دبلوم الصحافة العالى ١٩٦٣

تحصل على الدكتوراه عام ١٩٨٥ من جامعة بودابست

اشتغل بالصحافة وترأس مجلة الوحدة العربية ثم مدير عام المؤسسة العامة للصحافة ١٩٧٤ - ١٩٧٦

ترأس مكتب شئون الصحراء ١٩٧٦ - ١٩٩١

حمل ملفات حركات التحرير فى الساقية الحمراء ووادى الذهب وأزواد وشمال النيجر وارتريا وظفار

حمل ملف التوارق من عام ١٩٧٢ - ١٩٩١

ألف ١١٨ مائة وخمسة عشر كتابا فى الشعر الشعبى والتراث والشعر الفصيح والأنساب والتاريخ والقصة والصحراء الكبرى والأعلام.

أحد قادة الحركة الكشفية فى ليبيا

اشتغل سفيرا لليبيا بالسعودية ١٩٩٩ - ٢٠١١ وسفير غير مقيم فى عمان ٢٠٠٠ - ٢٠٠٤

اشتغل مندوب دائم لليبيا فى منظمة المؤتمر الإسلامى

رئيس لجنة المصالحة بين القبائل من عام ١٩٩٠ - ١٩٩٢

تحصل على جائزة الدولة للآداب ٢٠٠٩

قاوم ضد هجوم الناتو على ليبيا ثم هاجر إلى الجزائر ومنها إلى مصر.

فهرس المحتويات